محمد دبدوب

البـــروة

قرية فلسطينية محفورة في القلب

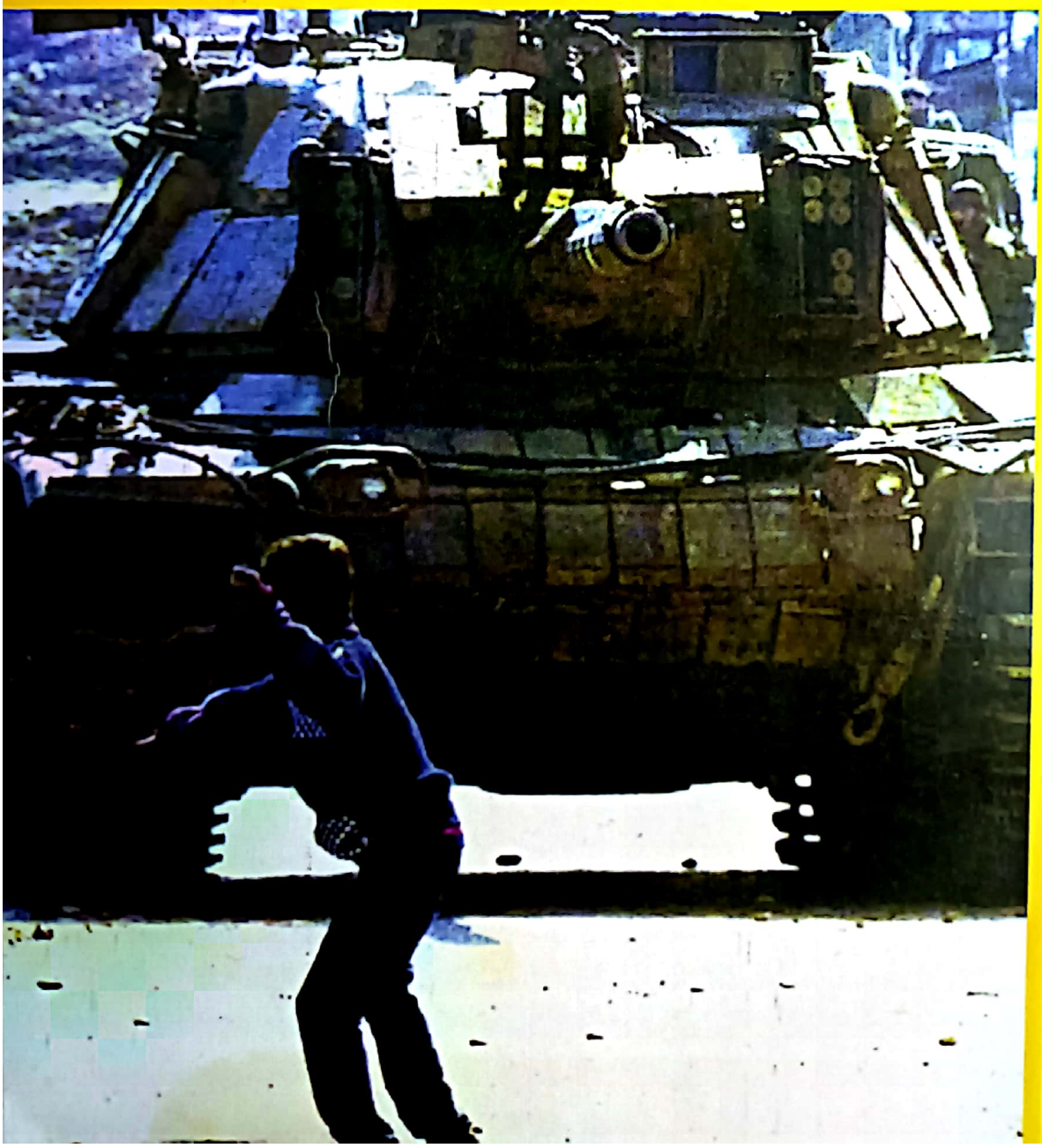

Scanned by CamScanner

الكتاب: البروة (قرية فلسطينية محفورة في القلب)
المؤلف: محمد دبدوب
الطبعة الأولى: نيسان ٢٠٠٢
القياس: ١٤,٥ × ٢١ سنتم
عدد الصفحات: ١٢٤
تنفيذ: رضا مفلح ٠٣/٥٣٢٩٣٩

جميع الحقوق محفوظة

نشر وتوزيع : مكتبة الحوار ـ طرابلس ـ ٠٣/٣٤١٩١٣

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى والديّ اللذين قضيا وهما في أشَّد الشوق للعودة

إلى بلد الآباء والأجداد في فلسطين

إلى أرواح كل الشهداء الذين سقطوا وضحوا بدمائهم الطاهرة
من أجل تحرير الأرض المقدسة من رجس الصهاينة الغزاة

إلى أطفال الحجارة وأهلنا في الأرض المحتلة
الذين يتصدون بصدورهم لقوات مجرمي الحرب اللصوص

إلى كل الأوفياء من أمتنا العربية والإسلامية لقضية العرب والمسلمين
والذين يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا
وكلمة الذين كفروا هي السفلى

أهدي هذا الكتاب عن ذكريات طفولتي في البروة
وحتى . . . المنفى

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محد صلى اللة عليه وسلم.

الى أهلي وإخوتي وأحبائي وإلى أهل البروة الكرام أقدم أسمى تحياتي مقرونة بالتقدير والإحترام، وكيف لا وهم أهلي وعشيرتي وقد عرفتهم وسجاياهم وسلوكهم منذ نعومة أظفاري وعرفت كرمهم ونخوتهم وتسامحهم وكل قيمهم الأصيلة، كما عرفت حبهم الذي لا حدود له لبلدهم وأرضهم ولفلسطين وكانوا دائماً على أتم الإستعداد للتضحية بالغالي والنفيس وأرواحهم في سبيل ذلك ولكن المؤامرة كانت أكبر منا جميعاً، لذلك وقعت الكارثة وكان الضياع لشعبنا لا لذنب إقترفناه وإنما بسبب الدول الكبرى وأطماعها ومن يدور في فلكها وتآمرها علينا وعلى شعبنا الطيِّب المعطاء وجعلوا منا ومن شعبنا فريسةً سهلة للصهاينة المحتلين الذين استعملوا كل وسائل القتل والإجرام وسلبونا أعزَّ ما يملكه الإنسان ألا وهوالوطن فلسطين، التي هي روحنا وحياتنا وحياة أمتنا وستعود بإذن الله مهما بلغ التآمر ورغم هؤلاء الغزاة الوحوش!

أقول لكم إنني هدفت في هذا الكتيِّب الصغير في مبناه الكبير في معناه أن أقدم لكم بشكل عام ولأطفالنا وأطفال فلسطين بشكل خاص صورة صادقة عن حياة أهلهم وحياة آبائهم وأجدادهم في البروة قبل النكبة، وبما أن هذه المعلومات الواردة هي من الذاكرة وقبل

Scanned by CamScanner

ما يزيد على الثلاثة وستين عاماً، أي منذ عام ١٩٣٨ ، فربما تكون قد وقعت بعض الأخطاء التي هي غير مقصودة لأنني صورتُ حياتي الخاصة من خلال حياتي معكم ومع أهلي وجيراني وكلكم أهلي وجلَّ من لا يخطئ أو ينسى فالمعذرة المعذرة عن أيّة هفوة تكون قد وقعت . وأسأل الله القادر أن يحقق لنا النصر على أعدائنا ، وليس ذلك على الله بعزيز .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد دبدوب

Scanned by CamScanner

مقدمة

هذا الأديم كتاب لا كفاء له رثُّ الصحائف باقٍ منه عنوان

البروة قرية فلسطينية من القرى التي اغتصبها الصهاينة الغزاة في سنة ١٩٤٨، وقد عمد المغتصب المحتل بعد ذلك أن يمحو من الوجود كل أثر يدل على أنها كانت موجودة أو أنها كانت عامرة تعجُّ بالناس وبالحياة والقوة والنشاط ولعلَّهم يلغونها من ذاكرة الأجيال السابقة واللاحقة.

والبروة التي تقع على مسافة قريبة شرق مدينة عكا كانت منذ القدم قاعدة لجند العرب والمسلمين الذين كانوا يقومون بتطهير أرض فلسطين من الغزاة المحتلين من صليبيين ومغول وتتار... وغيرهم حتى غَزو نابليون لفلسطين وحصاره لمدينة عكا في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي حيث كانت فلسطين محط أطماع الغزاة بشكل دائم ومستمر وكانت جيوش أمتنا الواحدة لهؤلاء الطامعين بالمرصاد.

وفي الهجمة الأخيرة للصهاينة على فلسطين واحتلالهم لها بسبب التآمر الدولي والتخادل العربي كانت سياسة المجرم بن غوريون رئيس وزراء حكومة الصهاينة الأسبق إزالة كل المعالم للقرى العربية التي قاومت اليهود الغزاة أثناء عدوانهم على شعبنا الفلسطيني

Scanned by CamScanner

وكانت قرية البروة بين القرى التي هُدمت وجُرفت ولم يبقَّ منها سوى جامع القرية ومزار آل الكيّال وكنيسة النصارى، ولما جاء الوقت المناسب أُزيلت دور العبادة هذه من الوجود ونقلت حجارتها الى أماكن أخرى لاستخدامها في رصف الشوارع أو البناء . . . وقد كان من القرى الأخرى التي لاقت نفس المصيرفي فلسطين (٤١٨) قرية وبلدة وخربة، ومن قرى قضاء عكا كان هناك ٢٦ قرية، منها قرى: عمقا، البصّة، البروة، دير القاسي، الغابسية، الكابري، كفر عنان، كويكات المنشية، ميعار، النِّهر الرويس، الدامون، سحماتا، السميرية، أم الفرج، الزيب، طربيخا. . . الخ.

يظن الصهاينة أنهم بهذه الأساليب القذرة قادرون على ان يزيلوا من أذهان الأجيال القادمة جرائمهم وإرهابهم ومجازرهم التي ارتكبوها في كل بلدة وحيٍّ ودار على أرض فلسطين.

فانطلاقاً من هذه الحقائق أريد أن أعطي في هذا الكُتَيِّب صورة حقيقية (كما عشتها) عن البروة لأهلها ولأطفالها في كل مكان والى كل طفل وشاب وشابة من شعبنا الفلسطيني والعربي والإسلامي عن جرائم الصهاينة وأساليبهم العدوانية لمحو جرائمهم التي يشيب من هولها الأطفال والتي يجب أن تبقى ماثلة وواضحة لدى كل فرد من أمتنا حتى تكون حافزاً مستمراً من أجل العمل لاستردادها وتطهيرها من رجس هؤلاء الغزاة المحتلين.

وليعلم هؤلاء اليهود المحتلون بأن لا بقاء لهم على أرضنا مهما طال الزمن وستكون بإذن الله تعالى نهايتهم كنهاية جميع الغزاة الذين قادتهم أطماعهم وأحقادهم لاحتلالها عبر العصور السابقة، فإذا كانت أمتنا اليوم تغط في سبات عميق فلا بد من أن يأتي من ينتفض من هذا السبات ليزيل عنها كابوس الذلّ والظلم والقهر الذي تعانيه منذ تمزقت وحدتها وقوتها بفعل التآمر الدولي الخبيث وبعض الخونة

Scanned by CamScanner

من هذه الأمة الذين ظنّوا بأن ارتباطهم بهؤلاء الأعداء سيجلب لهم المنّ والسلوى والازدهار وقد ثبت لهم أن أعمالهم لم تجلب لهم ولشعوبهم سوى الذل والعار وغضب الواحد القهّار وسرقة خيرات وثروات هذه الأمة. وقد قال الله تعالى «ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» (آل عمران) وقال: «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»، وقال: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم» (آل عمران آية ١٦٠).

إن شعب فلسطين ليس هوالوحيد المسؤول عن تحرير أرض فلسطين، بل هي مسؤولية كل فرد من أمتنا لإنقادها ورَفع الضيم عنها، بتوحدنا وتعاوننا وإخلاصنا في حمل هذه الأمانة التي تقع على كاهلنا جميعاً.

٢٠٠١/٨/١٢

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

في البـروة

Scanned by CamScanner

يقول المرحوم غسان كنفاني في كتابه أدب المقاومة في الأرض المحتلة عن الشاعر محمود درويش ابن البروة: وللشاعر محمود درويش التي هدمها اليهود ديوان شعر مطبوع تحت عنوان «عصافير بلا أجنحة» عن إفريقيا ونضالها التحرري لا تخطئ فيه الأذن على الإطلاق النغم الحقيقي المقصود.

ويردِّد عرب الأرض المحتلة للشاعر الدرويش قصيدة اسمها «ليلى من غزة» يصف فيها مصير فتاة عربية من القطاع بعد دخول اليهود اليه في العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦)، وتلتمع في هذه القصيدة شَفرَةُ نصل جارحة: فالشاعر الذي هُدمَتْ قريته والذي يعيش في قيود الاغتصاب يمضي في رثاء تلك الفتاةَ وتحيتها وتشجيع أهلها على الصمود.

وحين هُدمت قَريته جَعل أهل الجليل يرددون معه:

أنا في ترابك يا بلادي رَعشَةُ الدفء الفتية
أنا في كروم التين في قلبي البراري العسجدية
وهنا جدوري في ترابك
كيف تقلعها أياد أجنبية؟

ويقول في نهاية القصيدة:

ما جئت أبكي يا رفاق أحبتي
حملت جروحي حقد مليون
بأرض الغربة!

وهو نفسه الذي يقول:

أأجوع يابلدي ويشبع غاصب
جعل البقايا من عظامي موائدا
أنا ثائر لك يا تراب بلادنا
أنا ثائر لك يا شقيقي العائدا

Scanned by CamScanner

ولكي يظل النهر ثراً صاخبا
ناديتُ أدفع للمصب روافدا!

وللشاعر الدرويش قصيدة يقول فيها :

. . . «وأنت كنخلة في الذهن
ما انكسرت لعاصفة وحطاب
وما جزّ ضفائرها
وحوش البيد والغاب . .
ولكني أنا المنفي خلف السور والباب!

ويتابع المرحوم غسان كنفاني : «في النصف الأول من عام ١٩٦٦ أودعَ الشاعر محمود درويش السجن في الأرض المحتلة، ويبدو أنه فَي إقامته الطويلة هناك بلور الصورة النهائية لذلك المزج المنطقي والعميق بين الشخص والأرض والعلاقة الفردية والعلاقة مع الوطن، الشخص والشعب . . . » .

في السجن كما يبدو كتب الدرويش «عاشق من فلسطين»وهي مجموعة من القصائد ينتظمها خط واحد : إنه ليس تصعيداً عاطفياً مشحوناً للعلاقة مع الوطن فقط بل هو دمج كلي في القيم التي ظل الشعراء يعتبرونها موزعة ـ بتساو ما بين . . علاقة الرجل بأية إمرأة وعلاقته بوطنة . إن الحبيبة فيً «عاشق من فلسطين» تضفي في القصيدة شفافة إلى حد تضيع فيه معالمها بالأرض، يضحي جمالها هو أيضاً ملخصاً في كلمةٍ ساحرة «فلسطينية» . . وتبدو هذه الكلمة أكثر من كافية .

. . وأقسم :
من رموش العين سوف أخيط منديلاً
وأنقش فوقه شعراً لعينيك
واسماً حين أسقيه فؤاداً ذاب ترتيلاً

Scanned by CamScanner

يمد عرائش الأيك . . .
فلسطينية كانت ولم تزل

* * *

فتحت الباب والشباك في ليل الأعاصير
على قمر تصلّب في لياليا
وقلت لليلتي دوري
وراء الليل والسور
فلي وعدٌ مع الكلمات . . . والنور
. . . ما دامت أغانينا سيوفاً حين نشرعها
وأنت وفية كالقمح
ما دامت أغانينا
سماداً حين نزرعها
. . . خذيني تحت عينيك . .
خذيني أينما كنت . . .
خديني . . كيفما كنت
أرَدُّ إلى لون الوجه والبدن
وضوء القلب والعين
وملح الخبز . . . والوطن
فلسطينية العينين والوشم
فلسطينية الاسم
فلسطينية الأحلام والهمِّ
فلسطينية المنديل والقدمين والجسم
فلسطينية الكلمات والصمت
فلسطينية الصوت
فلسطينية الميلاد والموت

Scanned by CamScanner

حملتك في دفاتري القديمة
نار أشعاري
وباسمك صحت في الوديان
خيول الروم . . . أعرفها
وأن يتبدل الميدان
خذوا حذراً . . . .
. . . . حدود الشام أزرعها
قصائد تطلق العقبان
وباسمك صحت بالأعداء :
كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدان
قبيض النمل لا يلد النسور
بيضة الأفعى
يخبّىء قشرها ثعبان
خيول الروم أعرفها وأعرف قبلها أني
أنا زين الشباب وفارس الفرسان!

Scanned by CamScanner

الموقع:

على بعد تسعة كيلومترات إلى الشرق من مدينة عكا تقع قرية البروة على رابية كبيرة في نهاية السهل الساحلي الممتد بين مدينتي عكا وحيفا حيث تُطل مَن على هذه الرابية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وعلى خليج عكا الذي يحتضن مدينتي عكا وحيفا.

فمن هذه القرية الجميلة ترى مدينة عكا وبحرها الهادئ الجميل الذي يعكس أشعة الشمس صباحاً ومساءً، وترى كذلك بعض المستعمرات الصهيونية التي زرعها المستعمر البريطاني على أرض عربية مشاع بين عكا وحيفا فكلها قريبة من شاطئ البحر، كما أن من القرية تشاهد منشآت شركة نفط العراق الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة حيفا التي كانت تعمل قبل اغتصاب أرضنا الحبيبة، كما أنك ترى خزانات النفط الضخمة ألتي كان ينساب إليها البترول العراقي قبل زمن الاحتلال. وكذلك تشاهد مدينة حيفا أجمل موانىء البحر المتوسط والواقعة على جبل الكرمل حيث ترى الأضواء تتلألأ ليلاً وكأنها آلاف الثريات المنتورة على سفح هذا الجبل وعلى قممه حيث تنتشر الأحياء السكنية: وفي أعلى الجبل يقع دير مارالياس الذي تعلوه منارة تضيء وتنطفىء طوال الليل والتي وضعت لإرشاد الشفن القادمة إلى مدينة حيفا أجمل موانىء البحر الأبيض المتوسط.

عفوا يا أخي لقد تفجرت في نفسي تلك الذكريات الجميلة التي كانت قد تجذّرت في نفسي منذ الطفولة بل في كل خلية ونقطة دم في جسمي. بل غاصت في كل جزء من عظامي، فقد كنت أستيقظ صباحاً وأنام مساءً على أجمل منظر منحنا إياه ربُّ العالمين في أرضنا المقدسة الحبيبة فلسطين.

ولأتابع الحديث الآن عن هذه القرية التي كانت مركزاً لاجتماع الجنود المجاهدين الذين كانوا يتصدون للصليبين والمغول

Scanned by CamScanner

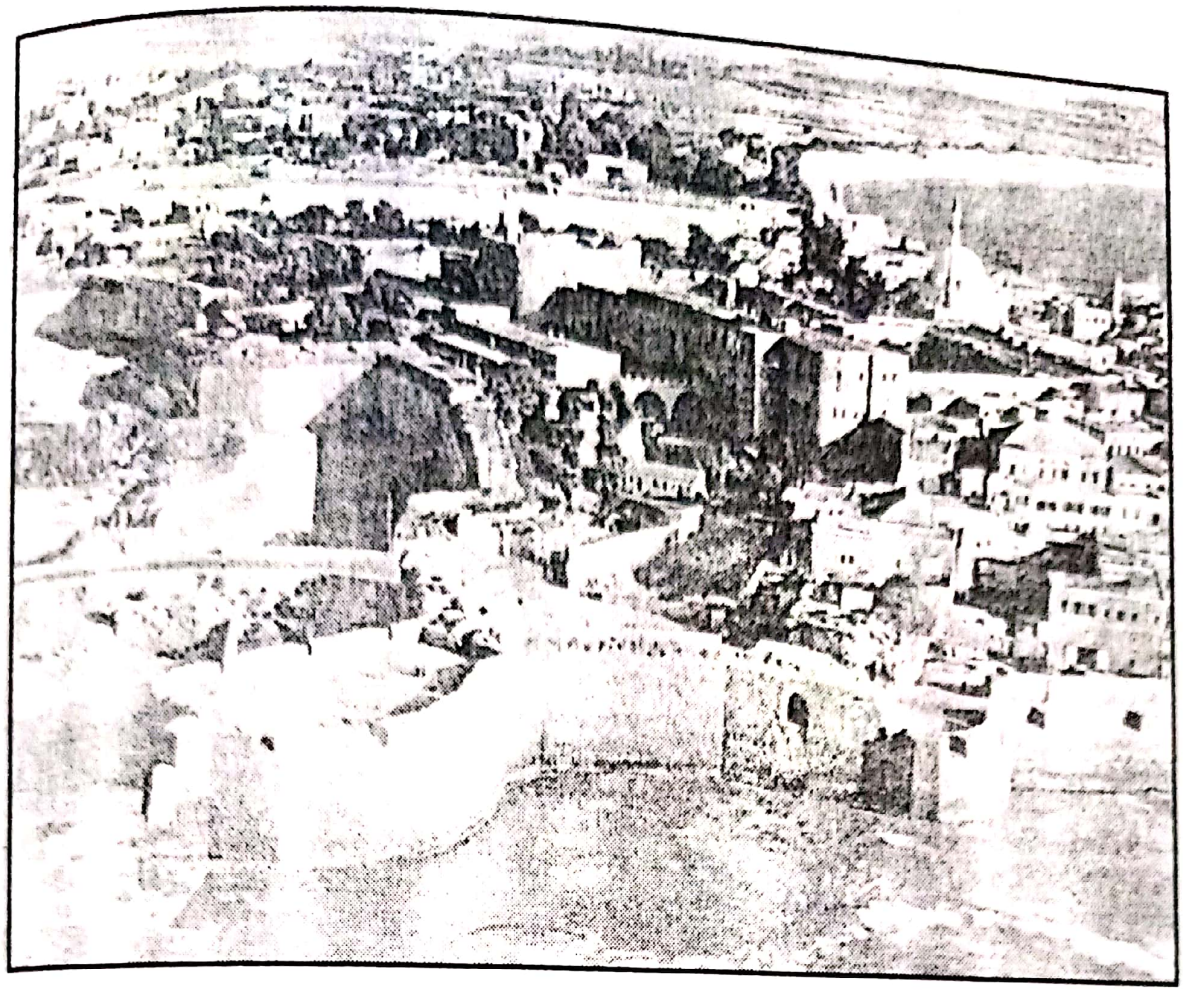

مدينة عكا قبل عام ١٩٤٨

صورة للبروة عن بُعد عام ١٩٢٨ «الحارة الشمالية»

Scanned by CamScanner

والتتار وحديثاً لمقاتلة قوات نابليون الذي قام بمحاصرة مدينة عكا.

المساحة:

مساحة أرض هذه القرية سهلاً وجبلاً نحو أربعة عشر ألفاً ومئتي دونم (١٤٢٠٠)، ويجدر أن نذكر أن ٩٠٪ من أرض البروة صالحة للزراعة. ويحدها من جهة الغرب طريق شفا عمرو ـ عكا الذي يخترق سهل البروة من الشمال إلى الجنوب والذي يمتد غرباً حتى مشارف مدينة عكا والبحر الأبيض المتوسط، ويحدها من الشمال طريق عكا ـ صفد مخترقاً أرض البروة لعدة كيلو مترات، وهذا يوازيه جبل العريض الممتد من رأس طنطور قرب عكا حتى قرية مجدالكروم شرقاً، ومن جهة الجنوب هضبة الرأس ودبَّة الخمَّام وبئر المغُيِّر ووادي الشاغور وهضاب كثيرة وبركةالمفحَرة وشعب ومجد الكروم (أنظر الخريطة المرفقة).

السكان:

في عام ١٩٤٨ كان عدد سكان البروة نحو ألفي نسمة (٢٠٠٠)، تنتشر بيوتهم وأبنيتهم على هضبة كبيرة تبلغ مساحتها ما يقارب الـ (١٠٠٠) ألف دونم، حيث أن معظم البيوت (باستثناء وسط القرية) متباعدة بعضها عن بعض (وغالباً ما يكون حولها أو ملاصقاً لها جنينة أو حاكورة). وفي أطراف القرية توجد الحواكير والجنائن والمساحات الواسعة المغروسة بالعنب والتين والصبر والزيتون، هذا ويوجد في وسط القرية وأطرافها في الشمال الغربي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي البيادر التي كانت تستعمل لتجميع أكداس المحاصيل الزراعية ولدراسة القمح والذرة ولقبْو أكوام السمسم، وفي المناسبات كانت تستعمل هذه البيادر للأعراس وللسباق وغير ذلك كملاعب للأطفال... الخ. وتبلغ مساحة البيادر نحو الـ (٢٠)

Scanned by CamScanner

دونماً.

معظم سكان البروة من المسلمين، وهناك الحارة الشمالية الغربية من القرية سكانها من النصارى والمسلمين، حيث أن بيوت النصارى والمسلمين متداخلة مع بعضها بعضاً. ففي هذه الحارة يقيم بالإضافة إلى النصارى عائلات إسلامية منها بيت دبدوب والسعيد وحمدان والواكد وبيت الحسن واليمني والأدلبي والشامي، وتوجد كنيسة للنصارى ملاصقة لبيت اليمني ورمضان.

أما عدد سكان النصارى في البروة فلا يتجاوز عشر السكان المسلمين، وعائلات النصارى هي بيت الخوري والزايد والرضوان وعطاالله والسكس والسمعان. وتقع بالقرب من الكنيسة ساحة تسمى ساحة البابور، وكان يستعملها النصارى في أيام الآحاد والمناسبات للإحتفالات.

يعيش النصارى والمسلمون وكأنهم عائلة واحدة ويتصفون بالعادات نفسها والتقاليد والقيم الإسلامية. حتى أن نساء النصارى كنَّ يرتدين نفس لباس العائلات المسلمة وكان المسلمون والنصارى يتبادلون الزيارات ويشاركون بعضهم بعضاً في الأفراح والأعياد والجنائز دون تمييز.

الحارات والعائلات:

أما بقية الحارات في القرية فهي الحارة القبلية وسكانها من عائلات درويش وسعد وعلي ديب وعيشان والخالد والجودي. والحارة الغربية سكانها من بيت دله والمي وهواش ودبدوب وعيشان والعيسى والواكد وحمدان. أما والحارة الشرقية فسكانها من آل الكيال والميعاري والسمري (العثمان) والمي وهواش ودار رباح. أما سكان وسط القرية فهم من عدة عائلات سبق ذكرها، منها بيت

Scanned by CamScanner

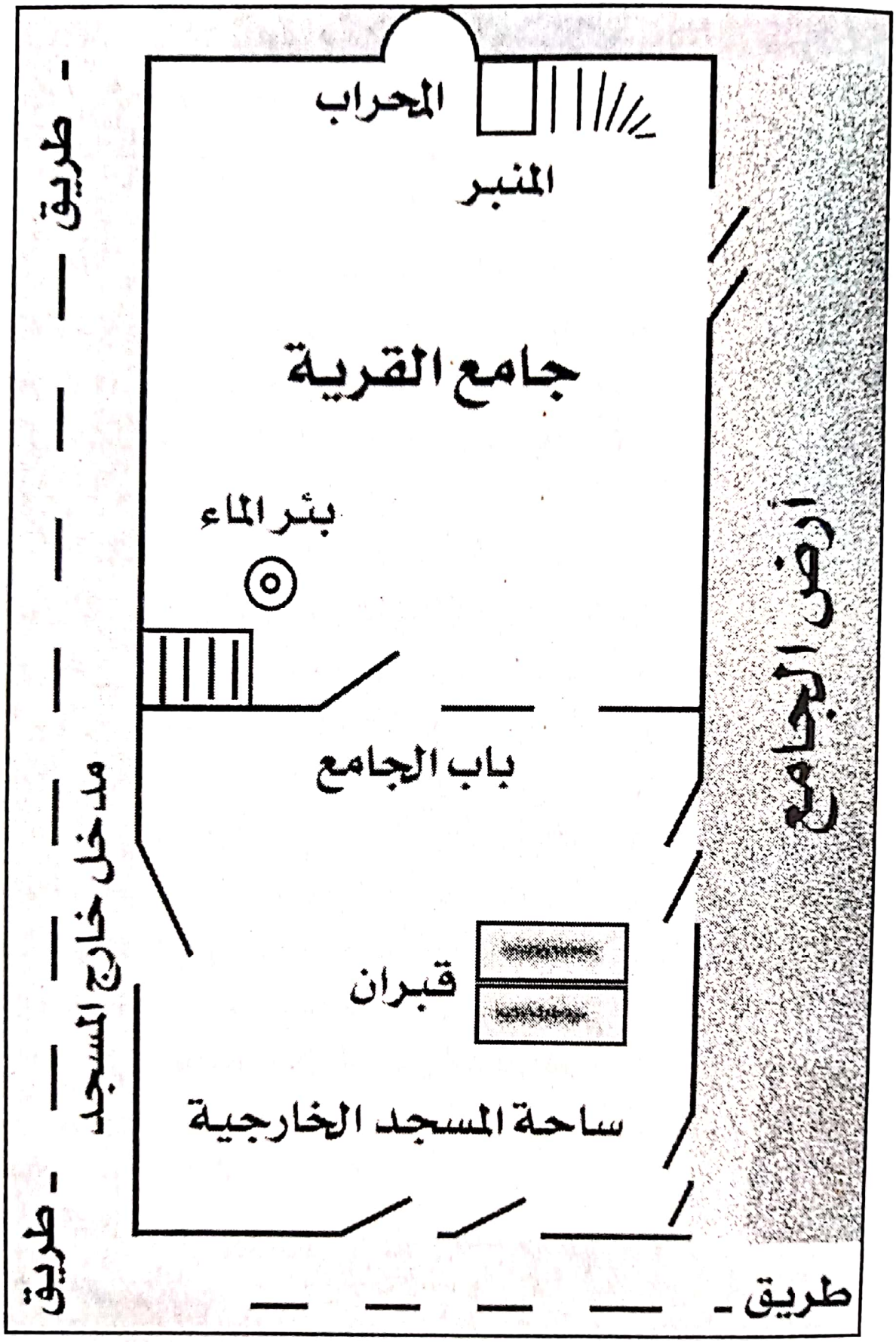

جامع البروة الذي هدمه الصهاينة

Scanned by CamScanner

هواش والخالد ورمضان والنصراوي ودرويش والعبدالله وسعد وعلي دياب ودارالعلي ديب . . . الخ .

من الناحية الإجتماعية كان يعيش هؤلاء السكان حياة ريفية هادئةً قلَّ أن تعرف الخُبثَ أو المشاكل، يعتمدون في عيشهم علىً الزراعة بشكل رئيسي ويليها التجارة والوظائف أو كعمال مع الدولة المنتدبة وتربية المواشي، ويمكن القول بأن معظم السكان كانوا يعتمدون على المنتوجات الزراعية والحيوانية التي لا يشوبها الغُشَّ أو استعمال المبيدات أو الأسمدة الكيماوية، والإنتاج الزراعي بشكل عام يتميّزُ بالجودة والطعم الطيِّب .

كانت الدولة المنتدبة على فلسطين تحارب السكان العرب بكل الوسائل وتُضيِّق عليهم مجالات العيش والحياة، فلا تصريف للإنتاج الزراعي ولا مجال للعمل، فقد كانت دولة الإنكليز ممثلة بمندوبها السامي اليهودي هربرت صموئيل تستورد القمح والطحين من كندا وأوستراليا لكي يكْسد الإنتاج الزراعي الوطني ليقرف الفلاح الفلسطيني الزراعة وليرغموه على بيع أرضه، طبعاً كان ذلك نادراً جداً، أن يبيع أحدٌ أرضه وخاصة بعد أن أدرك الفلسطينيون أهدافهم من وراء ذلك، والثورات المتكررة التي قام بها شعب فلسطين ضد اليهود وحكومة الانتداب التي كانت تعمل بكل الوسائل لزرع الكيان الصهيوني اليهودي مكان المواطنين العرب الفلسطينيين تثبت ذلك .

دور العبادة والمدرسة:

كان يوجد في القرية جامع عمري كبير جداً وفي داخله بئر ماء للوضوء ودار واسعة تابعة للجامع وفي داخلها قبران كبيران (لا أعرف عنهما أية معلومات) وقد زرع حولهما وقربهما نبات يقال له صبير كان يستعمل بسبب مرارته لفطام الأطفال الصغار وكذلك نبات

Scanned by CamScanner

وَرَقُهُ يُشبه وَرقةَ نبتة الدخان الصغيرة كان يستعمله الناس تحت عصبة (لفة) الكيّ يساعد على استخراج الْقَيحْ والشفاء. وفي خارج المسجد وداره توجد أرض كبيرة يقال لها أرض الجامع وفي وسطها شجرة كبيرة. يقع الجامع في الحارة الغربية من القرية ويشرف على مدينتي عكا وحيفا وعلى البحر المتوسط وشركة بترول العراق القريبة من مدينة حيفا وكذلك على السهل الساحلي الممتد بين عكا وحيفا. وقد بُني الجامع بحجارة ضخمة جداًوهو يشبه القلعة.

إلى جانب المسجد كانت توجد كنيسة، كان راعيها الخوري جبران وكان في القرية مختاران واحد للمسلمين وهو محمد المختار ابن إمام الجامع وآخر للنصارى هو جاد الرضوان أبو كرم وكان قبله في هذا المركز أسعد عطاالله قبل رحيله لحيفا عام ١٩٤٧.

وكان يوجد في القرية مدرسة واحدة لغاية الصف الخامس الابتدائي، وقبل عام ١٩٤٦ كان فيها فقط للصف الرابع الابتدائي، فحكومة الانتداب البريطانية كانت تعمل على تجهيل السكان العرب وتضييق مجال العيش عليهم كي يبيعوا أراضيهم للحصول على لقمة العيش، حتى أن المدرسة التي تمّ بناؤها في سنة ١٩٤٤ بُنيت على نفقة السكان الذين اشتروا الأرض وقاموا ببنائها على نفقتهم في منطقة غرب القرية تسمى القلاع على طريق بئر الغربي وعلى بعد نحو ألـ مئتي (٢٠٠)م غرب القرية وهي لا تزال موجودة ويستعملها الصهاينة.

معاصر الزيتون:

كان في القرية ثلاث معاصر للزيتون واحدة قرب الجامع وهي تخُصُ جدّ الشاعر محمود درويش (حسين درويش) وثانية ملك لناجي الأدلبي وهو من كبار ملاك كروم الزيتون في القرية وكان

Scanned by CamScanner

مكانها قرب بيت الطيب العلي ذيب والبيادر القبلية، وثالثة لدار أبو خضر قاسم الواكد وتقع في الحارة الشرقية وجميعها تعمل بواسطة الخيول وليست آلية كما هو الحال الآن. وقبيل النكبة صارت معصرة دار الأدلبي تعمل آلياً بواسطة مولد كهربائي. هذا ولم يكن متوفراً في القرية بنية تحتية فلا ماء ولا كهرباء ولا مجارير عامة بينما كانت حكومة الانتداب توفر جميع هذه الأمور حيث يقيم الصهاينة الآتين من الخارج.

تربية المواشي:

بالنسبة لتربية المواشي فقد كان في القرية عددٌ من قطعان الماشية، الماعز والغنم، بالإضافة إلى (عجّال القرية). والمقصود بعجّال القرية هو مجموع الأبقار والعجول (الحلابة والبطالة) والبطالة هي غير الصالحة للإستخدام في الحراثة. والمقصود بعجال القرية هو جَمْعُ العجول والأبقار في المراح (ساحة كبيرة) حيث كان كل صاحب بقر يسوق بقَرَهُ صباحاً إلى المراح ليسرح به راعيان في النهار، وعند الظهر يذهبان به إلى العين وتسمى (بئر الغربي) وهو نبع صاف ليسقيا الأبقار، وبعد ذلك وبعد استراحة لا بأس بها يُساق العجّال إلى الرعيِّ في خارج القرية ومراعيها المنتشرة في عدة أماكن حول القرية. وعند المساء يعود الراعيان بالعجّال إلى المراح مكان الإنطلاق في الصباح البقر ويتوزع ذاتياً على أصحابه في القرية دون أن يحضر أحد لإحضار أبقاره، حيث أصبحت الأبقار متدربة على ذلك. وفي نهاية موسم الحصاد يدفع أصحاب البقر للراعيين أجرتهما وهي كمية محددة من القمح حسب عدد الأبقار التي تذهب يومياً مع العجال وهي عبارة عن مدّ من القمح عن كل رأس (مدّ=٥ أرطال=١٢,٥ كيلو غرام) والجميل جداً أن أمات العجول الصغيرة يسرعن في

Scanned by CamScanner

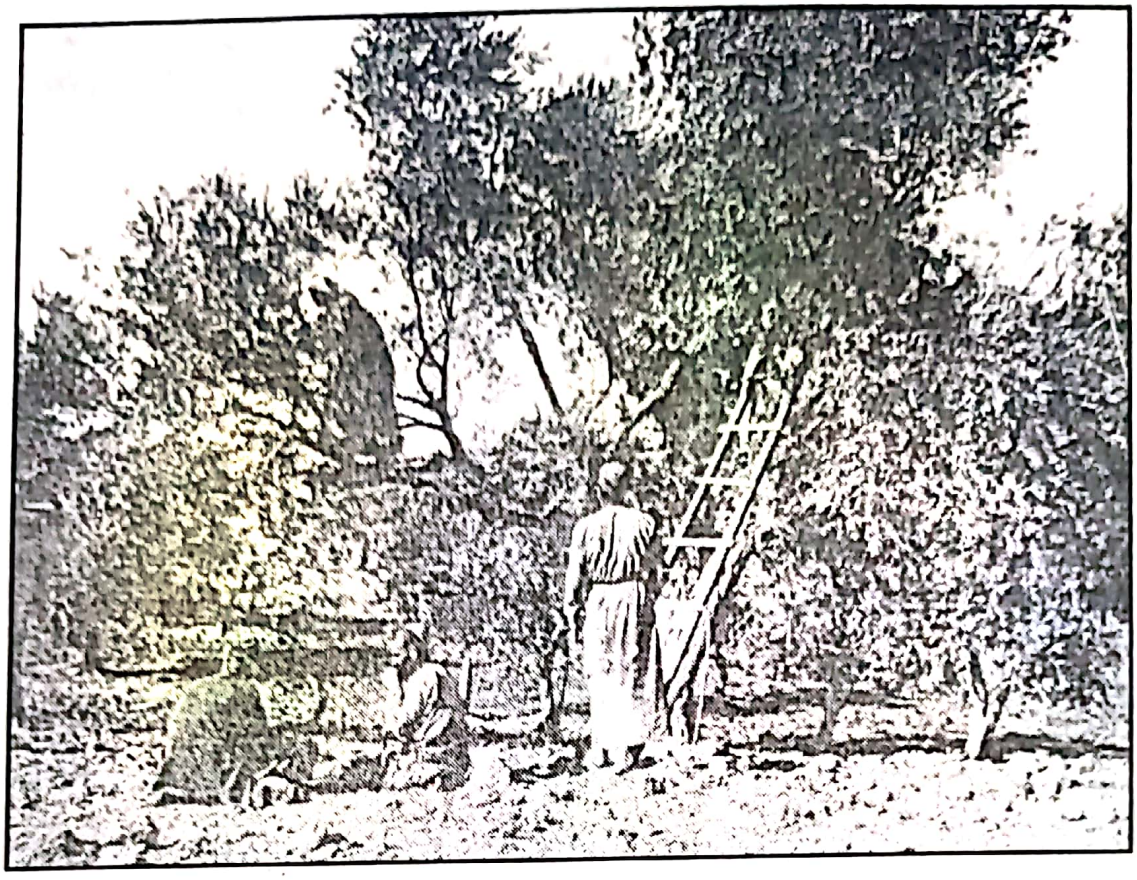

جني ثمار الزيتون

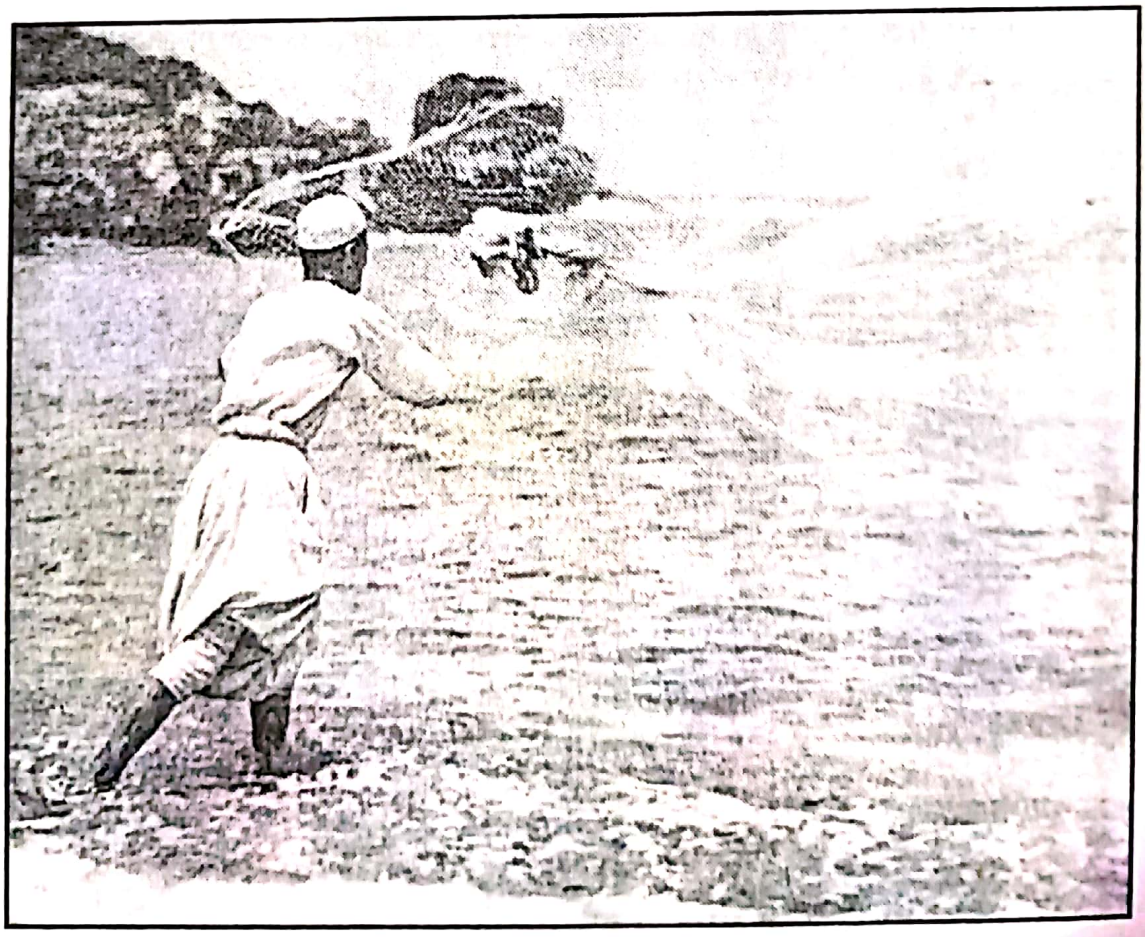

صيد السمك في «قيسارية» حيفا عام ١٩٣٨

Scanned by CamScanner

العودة إلى بيوت أصحابهن لإرضاع عجولهن وهنّ يُطلقن خوارهن عالياً وكأنهن يقلن لصغارهن ها قد عُدنا إليكم.

بالنسبة للماعز فقد كان في القرية عدة قطعان أحدهما لدار (عثمان) السمري، وآخر لدار قاسم الواكد أبو خضر وواحد لدار حسيّان ودار محمد الأمين وواحد لدار أبو طه وآخر لدار سعيد الدلّة وواحد لدار حسن زيدان الواكد. وكان هناك قطيعان من الغنم أحدهما لدار الواكد وآخر لأبي زيدان حسن زيدان الواكد.

بالنسبة للإنتاج من الحليب واللّبن فكان يُصدِّر لمدينة عكا القريبة صبحية كل يوم وهي ثروة لا بأس بها، وكان بقية أهل القرية الذين يملكون مواشي يُلْحقون مواشيهم في القطعان المذكورة مقابل أجر معيَّن ويستفيدون من حليبها يومياً ويصنعون الجبن واللبن واللبنة والزبدة والقشطة. . . الخ.

وكان هناك الأبقار من ثيران وغيرها من إناث البقر التي تستخدم لفلاحة الأرض وتسمى هذه (عمَّالات) وكان الفلاح يعتمد عليها بشكل أساسي قبل إستيراد الآلات الزراعية التي ساعدت بشكل أفضل على فلاحة الأراضي وزراعتها. وكان يَسخى (يجود) على العمالات بالعلف لتستطيع أن تقوم بالعمل الشاق المطلوب منها في الفلاحة وغيرها.

أما بالنسبة للخيول فقد كان في القرية عدد لا بأس به منها. فمنها ما يستعمل للركوب كالخيول الأصيلة. ومنها ما يستخدم للفلاحة ولدرس المحصول الزراعي من قمح وشعير وذرة وعدس وكرسنة وجلبانه. . . وغيرها. وقد كان من الذين يقتنون الخيول الأصيلة ويربّونها المرحومين أحمد درويش، يوسف طه الكيال، محمد عبد الرازق، يوسف الخليل الكيال، آل الميعاري، ناجي الإدلبي، الطيب العلي ذيب، آل العبدالله، ركاد الميعاري، قاسم

Scanned by CamScanner

هواش، محمد يوسف الكيال، عبد الدرويش، وغيرهم كُثُر... الخ.

أما بالنسبة للجمال فقد كان عددها قليل بالنسبة لباقي الحيوانات في القرية ومن الذين اهتموا باقتناء الجمال آل هواش (محمود هواش وعلي الهواش) ودار حمدان وآل اليمني ودار الميعاري وقاسم درويش... وبسبب عدم توفر السيارات والعربات التي تجرها الخيول فقد كانت تستعمل هذه الجمال لتنقل الحصيد من قمح وشعير وعدس وذرة إلى بيادر القرية حيث يتم درسها هناك. وكانت بيادر القرية هي الأماكن التي يتم تكديس المحاصيل الزراعية عليها وتوجد هذه البيادر في الحارة الشرقية وقد كانت تستعمل نوارج (مفردها: نورج) من الخشب مرصعة في باطنها (أسفلها) بالبحص المخشرم لتقطيع القش من القمح والشعير وغيره وتنعيمه وهذه الحصى سوداء خشنة تساعد على تنعيم القمح والشعير وغيره من المحاصيل وبعد الإنتهاء من هذه العملية - عملية تقطيع المحصود وتنعيمة - يقوم الفلاحون بتذريته بالمذاري الخشبية، حيث يتم فصل حب القمح والشعير عن التبن، ويخزن بعد ذلك التبن في التبابين من أجل علف المواشي في الشتاء عندما لا يتوفر العشب أو الغذاء البديل في فصل الشتاء أو في أي وقت آخر وكذلك يخزن حب المحصول في البيوت للمؤونة أو للبيع في الوقت المناسب.

الزراعة:

كانت الزراعة المصدر الأساسي تقريباً لمعيشة السكان بالإضافة إلى إعتماد بعضهم على الوظائف الحكومية كعمال أو رجال بوليس أو حرس في معسكرات الإنكليز في المزرعة والرقايق وكردانة وموتسكن وعكا وحيفا... أو كعمال عاديين. وكان بعض الناس

Scanned by CamScanner

دراسة القمح والشعير لانورج في صفورية «الناصرة»

قطف الليمون في يافا

Scanned by CamScanner

يعملون في التجارة البسيطة ومعظمها كان على الدواب، وقد كان في القرية عدد قليل من المحلات التجارية كالدكاكين. فكان هناك متجر خاص كرم السكس (كرم سليمان) وأخرى يملكها كل من رشيد العلي ذيب ونجيب درويش ومصطفى هواش ومصطفى نجم ومصطفى اسماعيل وتحتوي هذه الدكاكين على عدد محدود من الأصناف البسيطة والضرورية لأهل البلد.

وطالما أن حديثنا هو عن الزراعة فيجب أن نذكر أهم المزروعات في قرية البروة والتي تمَّ تدميرها وإزالتها من الوجود بعد احتلالها من قبل اليهود الصهاينة، (وهذه هي سياستهم تجاه كل القرى الفلسطينية وخاصة التي قاومت إحتلالها فأصبحت أثراً بعد عين كالبروة والدامون وصفورية ولوبية والشجرة والكابري.....). وتقوم كل المزروعات في البروةعلى ري الشتاء بدون ريّ منتظم أو متواصل بين فترة وأخرى.

أما زراعة الشتاء فهي القمح والشعير والبصل والبطاطا والثوم والفول والخس والسبانخ... الخ. وهذه المزروعات تسمى زراعة شتوية. أما الزراعة الصيفية فهي التي تزرع في أواخر شهر آذار وأوائل شهر نيسان من كل عام وتعتمد هذه الزراعة على الريّ الكامن في عمق التربة بعد الشتاء بالإضافة إلى الندى الذي يتكوَّن ليلاً وقبيل الصباح. وتشمل الزراعة الصيفية مزروعات مهمة جداً بالنسبة للمزارع وأهمها: الذرة البيضاء والذرة الصفراء والسمسم والبطيخ والبامية واللوبياء والخروش (الشمام أو الأناناس) والقثاء (الفقوس) والموسمان الشتوي والصيفي مهمان جداً في حياة أهل القرية. وهذه المزروعات تزرع في أرض السهل وهي أرض واسعة تربتها حمراء. وفي أيام الحصاد أو قطف المحصول يهرع أصحاب المواشي من المناطق الجبلية والداخلية بمواشيهم إلى السهل الساحلي من أجل رعي مواشيهم أو كعمال في الحصاد، وهذه المواشي تشمل قطعان من الغنم والماعز

Scanned by CamScanner

والأبقار والجمال ودواب أخرى حيث يتوزع روثها(زبلها) على الأرض ويبقى فيها، وهذا الروث يزيد بشكل جيد من خصوبة الأرض وإنتاجها ويعتبر سماداً طبيعياً للتربة لأن السماد الكيماوي لم يكن متوفراً عند الفلاحين العرب، والسماد الطبيعي يجعل طعم ونكهة الإنتاج الزراعي من أطيب وألذ ما يكون لمن يتناوله.

وادي الحلزون:

أما المناطق السهلية ألتي كانت تستعمل للزراعة فتقع كلها في المنطقة الواقعة غرب القرية وبينها وبين البحر المتوسط ومدينة عكا وبعض منها في شمال القرية كالمقترثات والسباتي والصواني وَالهْرُبة، ويمكن أن أذكر هنا أسماء مناطق هذا السهل الذي يخترقه في طرفة الجنوبي والشرقي وادي الحلزون الذي تتدفق مياهه في فصل الشتاء من وادي الشاغور ووادي شَعبْ ووادي الخشب الواقع شمال قرية سخنين ومرتفعات الرَّامية ونحف وسجور ودير الأسد واليعْنة ومجد الكروم وهذا الوادي (وادي الحلزون) كان يُشكِّلُ خطراً على المزروعات عندما كان يَفيض عندما تهطل الأمطارالغزيرة في فصل الشتاء وتغمر مياهه أحياناً قسماً كبيراً من سهل البروة وسهل الدامون المجاور لسهل البروة وكذلك سهل شعب، الممتد شرق وجنوب البروة، ومياه هذا الوادي كانت تشكل بحيرة كبيرة قبل نهر النعامين ألواقع جنوب مدينة عكا وتسمى هذه البحيرة «السبلة»، وما يفيض من مياهها يصب في البحر المتوسط والمنطقة التي كانت تغمرها مياه وادي الحلزون كانت تسمى (المغراقة).

المناطق السهلية:

إن أسماء الأراضي السهلية كما أذكرها هي: المئترنات،

Scanned by CamScanner

السباتة، الهربة، الصوانة، شَقلية، أم السعود، الجورا، أبو لبن، الصدور، الحلاّلي، الجَلَمة، الحَاج حسينات، الهودية، سنجاب، المسل، أرض الجامع، تلَ البروة، المراميع، المغراقة، المكاسر، المرزات، إغرية، العياضية، القراقطة، الشواحيط. هذه هي أهم الأسماء التي أذكرها من أرض السهل، وقد اعتدت الذهاب وأخي على الدابة لنحضر الحشيش لإطعام دوابنا مثل أبو رويس والمدَّاده الناعمة والخشنة والعنجدة والشوفان والنفلة... الخ. والأرض السهلية هذه خاليه من البحص والحجارة، ونظراً لضيق حال المزارعين فلم تستعمل فيها الأدوات الزراعيةالحديثة إلا قبيل النكبة بقليل، وذلك من جرارات زراعية وحصادات ودرَّاسات وحفر آبار مياه للري، وكأنّ ذلك كان مقصوداً من حكومة الإنتداب البريطاني التي كانت تعمل جاهدة لتدفع المواطنين العرب الفلسطينيين لبيع أراضيهم لليهود الغزاة، ولكن رغم كل هذه المضايقات كان الفلاح الفلسطيني متمسكاً بأرضه ولم يتخلَّ عنها مهما عظُمت المغريات والتضحيات. وهذا الفلاح مهما كان فقيراً، فقد كان يكتفي ويحمد الله تعالى على ما تنتجه هذه الأرض الطيبة ليعيش حُرّاً كريماً في وطنه بل حمل السلاح وقاتل واستشهد العديد من أبناء هذه القرية وغيرها في الثورات والإنتفاضات الفلسطينية ضد اليهود الدخلاء وليس هنا المجال لوصف جرائم اليهود والبريطانيين تجاه شعبنا الصابر المناضل في سبيل البقاء والتمسُّك بأرض الجدود والآباء.

أما بالنسبة للمزروعات الأخرى والمهمة جداً أيضاً تلك التي تتداخل مع البيوت أو تحيط في القرية من الجنوب والشرق والشمال وقليلاً من جهة الغرب قبل التواصل بالسهل الخصيب الكبير الممتد نحو الغرب. فهذه المزروعات تشمل بشكل رئيسي: الزيتون وهو محصول أساسي في حياة القرية ويغطي مساحات كبيرة من جميع

Scanned by CamScanner

الجهات وكله من الزيتون الرومي الضخم، وهناك كروم زيتون بحجم أصغر ومن النوع الجيد، والمناطق المغطاة بشجر الزيتون هي: التلية، الغزالية، الرصيفة الشرقية، كرم الوالي المجاوبات، كرم الشلبي، المقترنات، العبكة الرصيفة الغربية، الزاوية، تلة الخياط، خلة الحمص الخوانيق، خلة الغزال، الصوَّنة، أبو لبن، القلاع زيتون دار سعد الممتد من الخلاَّت حتى تينات البيَّاضة وأبو عسل والمراح شرقي القرية وكذلك هناك كروم التين والصبر وزراعة الكوسا والبطاطا والسبانخ والبندورة والبصل والثوم.

المناطق الزراعية للخضار والفوكه:

أما المناطق الزراعية للخضار والفواكه فتحيط بالقرية من جميع الجهات من الغرب والجنوب والشرق والشمال: منها منطقة التوت وعويس وكرم أحمد الزينب وكسّاب، والهُربة وشقلية وكرم الزلاق والقلاع وأبو عسل وطريق الغَربة والراس وتين الغربة والتل، والبياضة وأبو لبن والمجاوبة والخلايل والنبعة وزيتونات السهل والمحاجر، التليات، الطبرة، وعرة دار الشامي، العريض، المقترنات، السباتي المناطر، كرم السكس وعرة دار عبد اللطيف ودار واكد فوق المجاوبة وهذه المناطق بالإضافة إلى المناطق المذكورة سابقاً تزرع بكافة أنواع المزروعات وهناك جبل أبو حامض وواضح فوق الخلايل وخلة الغزال.

جبل العريض:

وهناك جبل العريض الواقع على بعد نحو ١٢٠٠م شمال القرية والموازي لشارع عكا ـ صفد وهو ممتد من رأس طنطور غرب بئر العياضة حتى منطقة اللّيات غرب قرية مجد الكروم وتكسوه أشجار

Scanned by CamScanner

الخروب والسنديان وأنواع أخرى من الأشجار وهو من أجمل المناطق المطلّة على قرية البروة وعلى السهل الساحلي والبحر المتوسط وعلى مدينتي عكا وحيفا ويبلغ طول هذا الجبل نحو ثمانية كيلومترات وإرتفاعه يقرب من ال ٣٠٠ م عن سطح البحر.

وهذا الجبل كما أسلفت يزرع قسم منه بشجر الزيتون وأشجار الخروب والسنديان والبطم عند وادي القرن في الشرق، وكان أهالي البروة يحتطبون منه حطب السنديان للتدفئة أيام الشتاء ويقع إلى الشمال منه يركا وجولس وجديدة ومن الشرق مجد الكروم والدير والبعثة ويشرف على طلعة اللّيات وطريق صفد عكا، حيفا ومنطقة اللّيات شهدت معركة عنيفة مع الإنكليز أثناء ثورة ١٩٣٦ واستشهد فيها عدد من شباب القرية منهم: فضيل الدلّة وإبراهيم سلطاني سعد، وحمودي الجودي وأبو مصطفى النجم، وأحمد العبادي، محمد طه عيشان.. وغيرهم.

مصادر المياه في القرية:

بالنسبة لمياه الشرب وغيرها فقد كان في محيط القرية بئران نبع بئر الغربي ويبعد نحو الكيلو متر عن القرية ويقع بجانب تل البروة وبئر المُغيِّر ويقع جنوب القرية وتحت تلّة الراس ويبعد عن القرية نحو نصف الكيلو متر على الطريق الذي يربط البروة بالدامون، والطريق هذه لم تكن ممهدة أو سهلة. ومياه هذين البئرين ممتازة وخفيفة وصحية وتستعمل للشرب والطبخ وسقاية المواشي.

أما بالنسبة لمياه الغسل والغسيل فلم يخل بيت من مياه المطر المتجمعة على سطوح المنازل أيام الشتاء والتي تجمع في بئر إرتوازي يتم ملؤه أيام الشتاء وهذه المياه تستعمل لسقي الدواب والغسيل وكل ما يلزم.

Scanned by CamScanner

بئرالغربي:

بالنسبة لقطعان الماشية فكانت تردُ بواسطة الرعاة على بئر الغربي حيث يوجد ران كبير يملأ بالماء وتشرب منه الماشية من ماعز وغنم وبقر وجمال وغيرها. وكان يوجد لبئر الغربي سقاء يرفع الماء من بئر النبع هذا بواسطة سطل كبير يُرفع بواسطة دولاب حيث يستعمل السقاء رجلية للَف الحبل على الدولاب لرفع الماء ومن ثم صبه في حوض صغير تحت مكان جلوسه حيث يذهب الماء لبركة باطون كبيرة مغطاة كالغرفة وتستوعب بحدود ال٥٠م٣ من المياه وفي القرب من أسفل هذه البركة يوجد مزراب تنزل منه مياه الشرب وتُعَبىء منه الملايات حاجاتها من المياه وعندما لا يوجد ملايات تصب مياه المزارب في ران كبير بعرض ٨٠سم وعمق ٦٠سم تقريباً وطوله بحدود ١٢ متراً وتقف المواشي بالدور على الران مع راعيها لتشرب وبعد أن تشبع يسوق الراعي قطيعه ويأتي آخر وذلك كي لا تختلط المواشي ببعضها بعضاً. وكما أسلفت مياه نَبْعي بئري الغربي والمغيِّر مياه نقية وبأفضل المواصفات الممتازة للماء حتى أن مدير مدرسة البروة ويدعى عمركتمتو رحمة الله كان أحياناً يأخذ منها معه إلى عكا لبيته للشرب.

وسائل النقل:

إن وسائل النقل في القرية كانت تعتمد في غالبيتها على الدواب كالجمال والحمير والخيل والبقر وذلك في الفلاحة والحصاد ودراسته ونقل المحاصيل من الأرض إلى البيادر أو البيوت ولم يكن في القرية سوى سيارة شحن واحدة تخص دار سعيد السعد (اللطيفة) وكانت في معظم الأوقات معطلة، وفي أوائل الأربعينات توفرت الجرارات الزراعية والحصادات وسهَّلت إلى حدما عمل الفلاحين.

Scanned by CamScanner

أما بالنسبة لتنقل الأفراد من البروة إلى مدينتي عكا وحيفا فكان يتم بواسطة الأوتوبيسات التي تسير على خط صفد، عكا- حيفا أو خط شفا عمرو، أو سخنين، عكا وكان هناك شركة باصات تخص إلياس الشكري من الرامة ولها رحلات منتظمة وباص لسخنين يسير حسب توقيت معين ، كما أن هناك على الخطين المذكورين تسير سيارات صغيرة (تكسي) وليس لها مواعيد محدة . وكان أيضاً أتوبيسان يمران على طريق صفد- عكا يأتيان من كفر برغم- سعسع- سحماتا- البقيعة، الرامة عكا- حيفا . كل هذه الوسائل كانت متوفرة وتكفي حاجة الناس بالتنقل . بالإضافة الى الذين يستخدمون الدواب في التنقل أو التجارة .

ولا بد لي من ان اؤكد بأن ارتباط القرى المجاورة ببعضها بعضاً كان جيداً والتنسيق بينها ممتازاً وذلك في الامور التي تخص الوطن وكانت هذه القرى مرتبطة ببعضها بعضاً بالمصاهرة والقرابة والصداقة ووحدة المصير والمستقبل . ومن القرى المجاورة للبروة من جهة الجنوب الدامون وكابول والرويس طمرا أو تمرا وكوكب وعبلين ومن جهة الشرق شعب ميعار وسخنين وعرابية ومجد الكروم والبعنة والدير ونحف ومن الشمال جولس ويركا وكفر يا سيف وابو سنان وعمقا وكويكات، ومن الشمال الغربي وعلى بعد قليل من البروة قريتي جديدة والمكر، اما من جهة الغرب كان السهل الساحلي وعكا وحيفا والبحر المتوسط . وقد كانت هموم وقضايا جميع هذه القرى وغيرها متشابهه ومتشابكة احياناً . ولا بد من الاشارة بأن هذه القرى كانت بحاجة الى القيادات الواعية المستنيرة القادرة على دراسة القضايا والمستقبل والتخطيط لمواجهة الكارثة التي حلت بشعبنا بمساعدة الانكليز المحتلين للصهاينة الغزاة .

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية

Scanned by CamScanner

سبق لي أن ذكرت اسماء جميع العائلات التي تسكن البروة من مسلمين ومسيحين وقلت بانها كانت جميعها تعيش في ود وتفاهم تامين وكان اكبر عائلتين في القرية آل الكيال وآل درويشً / سعد وقدكانت جميع هذه العائلات مرتبطة ببعضها ارتباطاً وثيقاً بواسطة القرابة والمصاهرة والجيرة والمصير الواحد، وعندما كانت تحصل بعض الاشكالات يقوم الخيِّرون من وجوه القرية بالتدخل وحل جميع المسائل مهما عظمت وكأن شيئاً لم يحدث وتعود المياه بسرعة الى مجاريها وبدون اية احقاد، فقد كان ارتباط الناس في القرية ببعضهم بعضاً ممتازاً وقوياً.

المضافات في القرية:

هذا وقد كان في القرية عدد كبير من المضافات التي كان يلتقي فيها الشبان والرجال من كل العائلات لاحتساء القهوة، وخاصة السادة منها، ولمناقشة القضايا المهمة من معيشية واجتماعية وسياسية وزراعية وغيرها وتبادل الآراء فيها.

ومن المضافات التي اذكرها في البروة مضافات المرحومين ابو الشيخ الكيال ومحمود مصطفى الكيال ويوسف طه الكيال ومضافات المرحومين احمد درويش وحسين درويش وحسن درويش ويوسف درويش واسعد ابو طه وقاسم هواش ودار اليمني ويوسف الصالح وناجي الإدلبي وواكد الواكد ودار المختار وسعيد عيشان وعبد الدحمن دبدوب (ابو عبدالله) ومضافة الخوري جبران ومحمد يوسف الكيال ومحمود الميعاري والشهيد محمود الجودي ودار المرحوم حسن العثمان ودار احمد هواش وخليل السعيد وقاسم حمدان ويوسف هواش ومحمد الامين وكثير غيرها لا أذكرها.

ولا انسى منزول القرية الذي كان معداً لاستقبال كل غريب

Scanned by CamScanner

حيث يقدم فيه للضيوف كل ما يلزم من طعام وشراب ومنامة. وقد كان موقعه بجانب بيت الشهيد ابراهيم العثمان(الآمنة) والمعروف عن اهل البروة إكرام الضيوف والاهتمام بهم وتقديم كل ما يمكن لهم.

في هذه المضافات والدواوين كان يجري الحديث والنقاش بشؤون القرية العامة والقضايا السياسية والمعيشية وغيرها وخاصة ما كان يتعلق منها بالاستيطان الصهيوني وخطره المقبل على اهل البلاد وكذلك القضايا العائلية والزراعية والتجارية وكل ما يهم اهل القرية من قضايا ومسائل خاصة وعامة.

ونظراً لعدم توفر اجهزة اتصال وتواصل غير بعض اجهزة الراديو فكانت تعقد السهرات واللقاءات في البيوت حيث يتم تبادل الأحاديث والقصص والروايات وأمور العمل والفلاحة والمحصول وكل ما يهم حياتهم ومستقبلهم.

لقد كانت القرى بشكل عام وكأنها منقطعة عن العالم الخارجي نظراً لعدم توفر وسائل الاتصالات عن العالم الخارجي نظراً لعدم توفر وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية والكهرباء وغيرها كما هو الآن، حيث يمكننا معرفة كل ما يحصل في جميع انحاء المعمورة في لحظات، وقد كان يُحْضرُ بعض الناس بعض الصحف كجريدتي الدفاع وفلسطين فيعرفون ماذا يحدث هنا أو هناك.

ورغم عدم توفر كل الوسائل التي نتمتع نحن بها الآن والتي لا تعد ولا تحصى، رغم كل ذلك كانت الحياة ممتازة وممتعة وفيها الرضى والقناعة من رب العالمين، ولا امراض فتاكة ولا مشاكل صحية ذات خطر كبير ولم يكن احد يشعر بضيق للعيش والجميع يشكرون الله على نعمه وعطائه لهم، فالمطر قلّ الآن إلى حد ما وما كان ينقطع او يشح في فصل الشتاء كما هو الان بسبب جحود الناس وتنكرهم للقيم الاصيلة التي تحفظهم ومجتمعاتهم من كل الشرور والآفات،

Scanned by CamScanner

حتى أن الهجرة إلى الخارج كانت نادرة جداً رغم ما حل بالناس اثناء الحرب العالمية الأولى من فقر وضيق في بلادنا.

لا بد من الاشارة هنا كذلك إلى الجلسات والمجالس اليومية التي تتم في الحارات والطرقات حيث يجلس الشبان والشيوخ على قصص (وهي عبارة عن مصاطب طويلة مصنوعة من الحجارة والطين للجلوس) وكراسي قش صغيرة على جانبي الطريق أو حوش دار ويتناقشون ويتحدثون في امور عديدة كالسياسة والأوضاع العامة والأخبار والمستقبل أو يقرأون الجرائد ويتبادلون الآراء في كافة القضايا، وأذكر مجلساً من هذا النوع قريباً من بيتنا وعلى طريق عام ملاصق لبيت نقولا الخَّوا أبوعبدالله وآخر أمام بيت أبو نجيب حنا الخوري وكان أحد هذه المجالس أمام بيت أبو خالد عبدالله الصالح وواحداً قرب دكان سعيد اللطيفة وآخر قرب دكان رشيد العلي ديب وفي عدة أماكن أخرى من القرية لا حاجة لعدها كلها، ويوجد مجالس مشابهة لذلك خاصة بالنساء يتحدثن فيها عن شؤونهن الخاصة من بيتية وغيرها.

وإذا كان هناك من أمر مهم أو موضوع يُراد تعميمه على أهل القرية كان هناك ما يسمى بالناطور يقوم بإذاعته بالمناداة على أهل البلد، فإن كان ذلك لاجتماع أو تبليغ أمر هام من المختار أو من السلطات، ولما كان لا يوجد ميكروفونات أو إذاعات كان يكلف الناطور بذلك ويبدأ الناطور بالمناداة بأعلى صوته: «يا أهل البلد الحاضر يعلم الغائب بأنه مثلاً: (يطلب منكم الحضور لبيت المختار فلان لأمر هام أو يذكر لماذا الاستدعاء لهم) أو مثلاً تبليغهم عدم البدء بجني ثمر الزيتون حتى يذاع عليهم بلاغ بهذا الخصوص، أو ما شابه ذلك. وأذكر ممن كانوا يقومون بالمناداة: (القصَّاص) أحمد وهو ضرير، ورجل آخر ضرير كذلك كان حسين اللطيفة وكانوا يتقاضون

Scanned by CamScanner

أجراً عن هذا العمل.

أما بالنسبة لقضايا السياسة والحرب والثورة فكانت تصل من خلال الصحف أو الإذاعة إذا توفرت أو ممن كانوا يذهبون إلى مدينتي عكا وحيفا ويعودون إلى القرية فيأتون بالأخبار عن سير القتال أو الثورة أو الحرب أو الهجرة اليهودية وكانت تصل الأخبار أيضاً عن طريق الموفدين إلى حيث كان يتواجد القادة المسؤولين في الثورة وخاصة خلال ثورة ١٩٣٦ التي امتدت إلى نهاية ١٩٣٩. وقد كان الناس يتلهفون لمعرفة كل جديد عن الأوضاع بشكل عام في فلسطين وخارجها وخاصة فيما يتعلق بسير الحرب العالمية الثانية حيث كان جميع العرب من فلسطينيين وغيرهم يتمنون نجاح حلف ألمانيا في الحرب كي يتخلّصوا من خطر اليهود وهجرتهم إلى فلسطين ومن دولة الإنكليز المنحازة كلياً إلى جانب اليهود، فهي تساعدهم بكل ما يمكن لتمكّنهم من الاستيلاء على فلسطين، وكانت أخبار حرب الألمان تصل عن طريق مذيع عربي إسمه يونس البحري وقد كان يذيع باسم إذاعة هتلر وكان الكل يسرّ عند سماع إنتصارات ألمانيا على الحلفاء.

أما الأخبار عما يجري في القرى العربية القريبة أو البعيدة أثناء الثورة وكانت تتوارد بواسطة المتنقلين من مكان إلى آخر أو بواسطة المسافرين أو الموفدين لمعرفة قضايا تهم جميع الناس وتشمل الأخبار العسكرية والسياسية والاجتماعية وخاصة أثناء إندلاع الثورات ضد الإنكليز وأعوانهم من اليهود الذين كانوا يعملون لاقتلاع الشعب الفلسطيني من وطنه وأرضه وزرع المستعمرات الصهيونية للقادمين من شتّى بقاع الأرض. وقد كانت الهجرة اليهودية المدعومة من كافة الدول الاستعمارية الظالمة الهمّ والهاجس الذي لا يفارق تفكير أبناء شعبنا، وكيف سيواجهون عاجلاً أم آجلاً هذه المعضله التي يزداد

Scanned by CamScanner

خطرها يوماً بعد يوم، وبعد أن اكتملت خيوط المؤامرة التي بدأت منذ مؤتمر بال في سويسرا ١٨٩٧ برئاسة الصهيوني هرتزل. وبعد أن تخلّت دول الحلفاء عن وعودها وتعهداتها للقادة العرب السُّذّج في ذلك الوقت ووعودهم بمنحهم الاستقلال وتوحيد سوريا والعراق وفلسطين. . . بدأ تنفيذ المؤامرة ضدّ الشعب الفلسطيني وبدأت الكارثة على شعبنا صاحب الإمكانات القليلة جداً والفقير والمعثَر الذي لا يملك أبسط الوسائل لمقابلة هذا العدو الغادر ومن يساعده من دول الغرب الحاقد على أمتنا وشعبنا منذ الحروب الصليبية، وقد عبّر عن ذلك الحقد القائد الإنكليزي اللنبي عند دخول مدينة القدس حيث قال «الآن إنتهت الحروب الصليبية» وغورو القائد الفرنسي عند دخول دمشق وعندما ركل قبر صلاح الدين وقال «قم أين أنت يا صلاح الدين» وهل من يحمل هذا الحقد بعد مضي ٧٠٠ عام على إنتهاء الحروب الصليبية يفكر بخير للعرب أو للمسلمين؟!

ومهما يكن من أمر فقد بقي الشعب الفلسطيني متمسكاً بأرضه ووطنه وقدّم أعزّ ما يملك من الدم والروح في سبيل الإحتفاظ بأرضه ووطنه وقاوم بكل إمكاناته جميع المغريات والمؤامرات المحاكة ضده ولكن المؤامرة الخبيثة كانت أكبر منه وأكبر من حكام العرب الذين أُعطوا الوعود الكاذبة من قبل الحلفاء ولم يصارحوا شعوبهم ولا أهل فلسطين بحقيقة المؤامرة على شعبنا الفلسطيني، ولم يفعلوا شيئاً له وتركوا هذا الشعب الفقير يتخبط ويقاتل بكل ما يملك من وسائل مُعرَّضاً للمجازر والمآسي ويقدِّم التضحيات الجسام أمام أعين جميع العرب والعالم وظلَّ الشعب الفلسطيني ينتظر من القائد إسماعيل صفوت باشا في دمشق من تزويده بالسلاح وقد انتظر الشهيد المغفور له عبد القادر الحسيني فترة طويلة بانتظار تزويده بالسلاح والذخائر، فبعد أن يئس عاد إلى القسطل في جنوب فلسطين وظل يقاتل بما لديه

Scanned by CamScanner

من ذخائر حتى نال الشهادة ولاقى وجه ربه.

وعلى كل حال ومهما طال الزمن أو قصر وبمشيئة الله تعالى سيتحقق النصر لأمتنا:

إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة فلا بدَّ أن يستجيب القدر
ولا بدَّ لليل أن ينجلي ولا بدَّ للقيد أن ينكسر

العناية الصحية والطبية في القرية:

كانت حكومة الانتداب عن قصد أو غير قصد تعمل على عدم توفير أية خدمات ذات شأن يذكر لأهلنا لا صحية ولا تعليمية ولا معيشية وأكبر همها أن تُبقي شعبنا يسوده الجهل والفقر والمرض. والخدمة التي أذكرها كنت أسمع يقولون جاء سمَّام الكلاب فقد كانت ترسل دائرة الصحة سنوياً موظفاً معه مرافق يقوم بإعطاء سموم للكلاب التي يعتقد بأنها مسعورة أو قتلها بواسطة إطلاق الرصاص عليها لأنها تشكل خطراً على الناس. أمام هذا الواقع كان أهلنا المجاهدين الصابرين المعانين من الظلم والإهمال يعتمدون على إمكاناتهم الذاتية الضئيلة في مواجهة كل هذه القضايا، فمن الناحية الصحية لا أطباء ولا ممرضات ولا مستوصفات صحية توجد في أية قرية من القرى المجاورة أو قريتنا. ففي البروة كان هناك دايتان لتوليد النساء الحوامل هما المرحومة حليمة العثمان والثانية المرحومة عفيفة أحمد الزينب أم نمر، وقد كانتا تؤديان عملهما على أحسن وجه في عمليات الولادة، وكان لهما احترام واعتبار كبير لجهودهما، وكانتا تقومان باعطاء التوجيهات والنصائح اللازمة للحوامل والولّادات وعن كيفية العناية بالمواليد الجدد والاهتمام بهم وقد كانت نصائحهما مفيدة جداً وفاعلة. أما بالنسبة للحالات المرضية الصعبة فكان يذهب المرضى بالسيارة او على الدواب للمعالجة في مدينة عكا. واذكر انه

Scanned by CamScanner

كان فيها طبيبان الدكتور أردكيان (أرمني) والدكتور محمد المزين ودكتور ثالث مختص بالعيون هو الدكتور نجيب قطران. وأذكر بأنني مرضت مرضاً شديداً فأخذني والدي وأركبني على الحمار وسرنا حتى وصلنا عيادة الطبيب في مدينة عكا وبعد المعالجة بيومين شفيت تماماً والحمدلله.

وقد كان أهالي القرية يعتمدون في المعالجة على الوصفات العربية الكثيرة ومنها الكيّ لبعض الحالات وكاسات الدم وكاسات الهواء وغالباً ما ينجح العلاج. وعلى الرغم من فقر الناس كانت المعالجات على الطريقة العربية بواسطة الأعشاب وغيرها تنجح في التغلب على كثير من الأمراض حتى المستعصية منها أحيانا. أما بالنسبة للكسور فقد كان المرحومان أسعد أبوطه ومحمود حسيان يقومان بتجبير الكسور عند الحاجة. اما الصعب من الكسور فكان يحوَّل إلى مستشفى الدكتور حمزة الحكومي ويقع هذا المشفى على شاطئ البحر في مدينة حيفا.

اما بالنسبة للوفيات فقد كان عددها قليلاً جداً واعتقد ان ذلك يعود إلى الغذاء النقي الخالي من كل الكيماويات والأسمدة والسموم وغيرها، بالإضافة إلى نقاء الطبيعة، والحياة الريفية النظيفة الهادئة وكما أن الطعام كان من إنتاج الفلاح والأهل من حليب ولبن وخضار ولحم وبيض وزيت وزيتون وجبنة وعسل النحل النظيف المعتمد على أزهار الطبيعة وقد كان العسل وزيت الزيتون أفضل دواء للناس والكل تقريبا يربي أجران النحل. أطعمة كلها خالية من الغش والسموم التي تُرَشّ بها المزروعات في الوقت الحاضر وتعرِّض الناس لكثير من الأمراض التي لم يكن يسمع بها آبا ؤنا و أهلنا ولأننا كنا نعيش حياةً بريئةً نقيةً ونظيفةً طاهرة كلها صدق وإخلاص وأمانة فكنا قريبين من ربِّ العالمين وكان هو أقر ب الينا من أنفسنا فكانت حياة

Scanned by CamScanner

القرية على بساطتها وقلة تعقيداتها من أجمل وأهنأ ما تكون. فنسأل الله تعالى أن ينصرنا على أعدائنا لنعود الى أرضنا الحبيبة وبلادنا ومزارعنا ونكون فعلاً «خير أمةٍ أُخرِجَتْ للناس تأمُر بالمعروف وتنهى عن المنكر».

المناسبات الدينية والوطنية والأعراس:

من المعروف أنَّ هناك أعياداً ومناسبات خاصة بالنصارى، وأعياد المسلمين تشمل عيدي الفطر والأضحى ومناسبات المولد النبوي والإسراء والمعراج وليلة القدر بالإضافة إلى ذكرى المعارك التي إنتصر فيها المسلمون كمعركة بدر والخندق وفتح مكة.. وكذلك معركة اليرموك والقادسية وعين جالوت وحطين وغيرها كثير من المعارك الأخرى، وبالنسبة للنصارى هناك أيضاً عدة أعياد كالميلاد ورأس السنة الميلادية والفصح... الخ.

ومن المعلوم أن شهر رمضان المبارك يسبق عيد الفطر وفي هذا الشهر يُقبلُ المسلمون على العبادة بشكل مكثف لأنهم يعتبرون شهر رمضان شَهر العبادة المكثفة وشهر البركة حيث تكثر فيه العطاءات والصدقات والزكاوات للفقراء والمحتاجين وكذلك تأدية الصلوات في المسجد حيث تعطى فيه أيضاً دروس الدين والتوعية الإسلامية وتقام حفلات الإفطار الجماعية أو الفردية وتكون مناسبات للشعور مع الفقراء والعمل على مساعدتهم ومد يد العون لهم بشكل مستمر.

وفي هذا الشهر المبارك يقوم المسحِّرون بإيقاظ الناس لتناول طعام السحور وكان يتم ذلك بواسطة الطبل أو الضرب على التنكة وذلك حسب إمكانية المُسحر وعند الفطور كان الناس ينتظرون صوت المدفع من مدينة عكا حيث كان يُسْمَعُ صوته من البروة، ويبدأ الإفطار عند سماع آذان المغرب من جامع القرية، وفي شهر رمضان كان

Scanned by CamScanner

المصلُّون يؤدون صلاة التراويح يومياً في جامع القرية، وفي أواخر شهر رمضان كان يجتمع في الجامع الأولاد والشيوخ يومياً ويرددون الأناشيد الدينية الوداعية لهذا الشهر وذلك بعد صلاة التراويح مثل: أوحش الله أوحش الله منك يا شهر الصيام، وبعض الأناشيد الدينية الأخرى.

في آخر شهر رمضان كان يُعلن يوم العيد عادة من قبل المفتي العام لفلسطين وقد كان مفتي فلسطين قبل النكبة الحاج محمد أمين الحسيني وفي صباح يوم العيد يؤدي الناس صلاة العيد وبعد الصلاة يتبادل المصلون التهاني وتبدأ الزيارات للأقارب أولاً ثم لبقية الجيران و الأصدقاء. وقبل يوم العيد بعدة أيام كان يقوم الناس بصنع الكعك والمعمول وأنواع أخرى من الحلوى من أجل تقديمها للمهنئين يوم العيد، وكان المصلون قبل صلاة العيد وبعدها لثلاثة أيام يقومون بالتكبير قبل الصلاة وبعد تأدية كل صلاة في الجامع.

وبمناسبة عيد الأضحى كانت تنحر الذبائح من غنم وماعز للبيع أو لتوزيعها على الفقراء والمعوزين. هذا وكانت الطائفة المسيحية في القرية تقوم بواجباتها لزيارة المسلمين وتهنئتهم بالعيد كذلك كان المسلمون يقومون بزيارة النصارى بأعيادهم وتقديم التهاني لهم. هذا وقد كان يستمر عيد الفطر لثلاثة أيام، أما في عيد الأضحى فكانت تستمر التهاني لمدة أربعة أيام وتُنحَر فيه الخراف وتوزع على الأهل والأقارب والفقراء. وبمناسبة الأعياد كان الناس يرتدون الملابس الجديدة وتبدو مظاهر الفرح والابتهاج على وجوههم وفي كل بيت من بيوت القرية كذلك كانت في أيام العيد تُنصَب المراجيح للأطفال ويسود القرية جوٌ من الفرح والمودة والحبور وكأن القرية كلّها عائلة واحدة.

وبمناسبة خميس الأموات وهو الخميس الذي يسبق عيد الفصح

Scanned by CamScanner

عند النصارى وبمناسبة الاعياد الأخرى أيضاً كانت عادة المفاقسة بالبيض المسلوق من قبل الأولاد والشباب في الحارات وفي الساحات وكان الناس يصبغون البيض بألوان متعددة منها البصلي والأصفر والأخضر، فاللون البصلي يغلى البيض مع ورق البصل اليابس، واللون الأخضر يسلق البيض مع نبات يسمى (الخامشة) وهي نبته تعيش قرب شجر الصبير، أما اللون الأصفر فهو من زهرة نبات يسمى عندنا بعباس أو بسباس. والمفاقسة هذه يكون فيها ربح أو خسارة، فالبيضة التي لا تكسر هي التي تربح والكل من الشباب والأولاد يجربون حظوظهم ومنهم من يعرف البيضة القاسية التي يمكن أن تربح وكأن يقال بأن بيض دجاج الفرعون هو الأقوى، لذلك كان هو الأغلى.

والأعياد في القرية تعتبر من المناسبات القيِّمة والمهمة في حياة الناس ولقاءاتهم وتقريب القلوب وإجراء المصالحات بين الناس المتخاصمين والمتدابرين وكانت تتم هذه المصالحات بواسطة أهل الخير أو بدون أحد إمتثالاً لقول الرسول (صلعم): «لا يحق لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث فيعرض هذا ويعرض ذاك وخيرهما من يبدأ أخاه بالسلام» ويعود الود والوئام والمحبة بين الجميع ليصبحوا كعائلة واحدة.

وهكذا الحال في عيد الأضحى فقبل هذا العيد بيوم واحد تكون وقفة عرفة للحجاج، وفي يوم الوقفة يصوم معظم المسلمين باستثناء الحجاج وصوم يوم الوقفة له أجر كبير. وذهاب الحجاج لتأدية فريضة الحاج له شأن خاص، فعدد الذين كانوا يذهبون لتأدية هذه الفريضة قليل بسبب قلة وسائل النقل المتوفرة في تلك الأيام أو بسبب فقر الحال والمعروف أن فريضة الحاج هي على القادر فقط. وقد كان الحجاج يسافرون إما على الدواب أو مشياً على الأقدام، ومن كان

Scanned by CamScanner

قادراً مادياً يذهب بالقطار. فالذين كانوا يسافرون مشياً على الأقدام أو على الدواب كانوا يذهبون بشكل قوافل، وكانوا كلما قطعوا مسافة لا بأس بها يقعدون في مكان مناسب للاستراحة والنوم وبعد ذلك يستأنفون رحلتهم حتى يصلوا الى المدينة المنورة مدينة الرسول(صلعم) وبعد أن يقضوا بضعة أيام فيها يتابعون سفرهم الى مكة المكرمة لتأدية المناسك المفروضة عليهم وكان الحجاج أثناء رحلة الذهاب أو الإياب يمرون على المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف لقضاء أسبوع أو أكثر في تأدية صلواتهم في المسجد الأقصى المبارك وبعد ذلك يتوجهون الى أوطانهم وبلدانهم، وقد كانت تستغرق رحلة الحاج ما يقرب الشهرين أو أكثر وكانوا يُستقبلون عند عودتهم بالبهجة والسرور ونحر الخراف وتنشد الأناشيد الدينية، ويستقبلون المهنئين حيث يقدم لهم التمر وماء زمزم ومن كان حسن الحال يوزع المسابح والحناء وألعاب الأطفال. وفي عيد الأضحى تنحر الأضاحي وتوزع لحومها على الفقراء والأقارب والأصدقاء حسب سنة الرسول (صلعم).

أمّا في المناسبات الأخرى كمولد الرسول (صلعم) وذكرى الإسراء والمعراج فيسير طلاب المدارس والشباب في مسيرات تطوف جميع أحياء القرية وينشدون الأناشيد الوطنية والمدائح الدينية في هذه المناسبات.

وسبق أن ذكرت بأن هناك مناسبة تسمى خميس الأموات حيث يقوم أهل القرية بصنع الكعك (كعك الخميس) وسلق البيض وزيارة القبور لقراءة القرآن عن روح الموتى وتوزيع ما تيسر من الكعك والحلوى عند القبور على الفقراء والنوَر (الغجر) الذين كانوا يحضرون لأخذ نصيبهم في مثل هذه المناسبات. والنوَر كانوا يحضرون من فترة الى أخرى ويقيمون تحت زيتون القرية حيث ينصبون الخيم ويطوفون على البيوت للتسوّل مما تيسر من الخبز

Scanned by CamScanner

والطبيخ والتبن لإطعام الحمير التي تنقلهم وأحمالهم من مكان الى مكان والغريب أنهم لا يرحلون إلاّ في وقت الضحى حيث الحر الشديد وخاصة في الصيف.

في المناسبات الوطنية والدينية كان طلاب مدرسة البروة والشباب والشيوخ يتشاركون في المسيرات التي كانت تجوب حارات القرية وطرقاتها وهم ينشدون الأناشيد الوطنية ويرددون الشعارات التي تندد بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وكان أصحاب الدكاكين والأهالي يوزعون الحلوى ويرشقونهم بالأرز ويحيونهم وتنطلق زغاريد النساء والهتافات المندّدة بظلم المستعمر الإنكليزي المؤيد والداعم للهجرة اليهودية إلى فلسطين.

مقابر القرية:

بالنسبة الى المقبرة لا بد من أن أذكر مقبرة القرية والتي تبلغ مساحتها ما يقرب من ستة دونمات (٦٠٠٠ م٢) وتقع مقبرة البروة في الجنوب الشرقي من القرية، وعلى مقربة منها مقام له قبة وفيه أعلام كتب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وطبول وصنجات. والأعلام ملونة بالأخضر والأسود والأحمر والأصفر، وهذ المقام يخص عائلة آل الكيال، وقد كانوا يستخدمون هذه المعدات في مناسبات معيّنة ولا أذكر الطريقة التي كانوا يتبعونها في ذلك كما أنني لا أعرف شيئاً عن سرّ هذا المقام، وكان هناك مقام آخر قرب بيت المرحوم حسن درويش وهو مقام السيد العجمي.

مقبرة البروة يَدفنُ فيها جميع أهل القرية المسلمين وكان لها حرمتها واحترامها من قبل جَميع أهل القرية ومدفون فيها جميع الشهداء وموتى أهل القرية المسلمين. أما مقبرة النصارى فتقع في الناحية الغربية الشمالية من القرية وتبعد نحو مائتي متراً عن القرية في منطقة تسمى عويس أو

Scanned by CamScanner

كسّاب مقابل كرم أحمد الزينب من الغرب وكرم وطفى من الشمال وهي بجانب الطريق الذي يمر في كسّاب الى مدينة عكّا . عدد قبورها كان قليلاً ويتناسب وعدد السكان النصارى في القرية وتبلغ مساحة هذه المقبرة نحو ١٥٠٠م٢ . وكانت هناك مقبرة صغيرة ثانية للنصارى على هضبة الرأس جنوب القرية وعدد قبورها قليل جداً . وكان المسلمون والنصارى يشاركون في جنازات بعضهم بعضاً ويؤدون التعازي لبعضهم بعضاً، وكما هي الحال في مناسبات الأفراح .

احتفالات الزواج:

أما مناسبات الزواج فقد كان لها طبيعة خاصة وحرمة خاصة ومراسيم خاصة طابعها العام الحياء والاحترام وقدسية خاصة لا يستطيع أحد وقتئذ تجاوزها، فقد كانت تخطب الفتاة من أهلها بعد استقصاءات واتصالات مسبقة مع ذويها كي لا تقع عند التقدم لخطبتها إحراجات أو عقبات وكانت البنت تُسأل عن رأيها في ذلك وكان سكوتها معناه الموافقة من قبلها للشاب المتقدم لخطبتها، فكان للأهل رأيهم كذلك فلا يسمح للخاطب أن يلتقي منفرداً بخطيبته وغالباً ما يتم لقاؤهما في الأعياد والمناسبات وما شابه ذلك، وقبل أن تتم الخطوبة بشكل رسمي يتم الاتفاق على المهر المعجّل منه والمؤجل وكذلك إذا كانت هناك أية شروط لأحد الفريقين عن المسكن أو الأثاث . المعروف في البيئة القروية بأن النسب هو أهل كما يقال بمعنى أنه أصبحت هناك وشائج قربى بين العائلتين وعليهما المحافظة عليها ومراعاتها .

هذا وعندما يُحدَّد موعدٌ للزواج فعلى العريس أن يكون قد دفع كامل المهر المعجّل المحدّد للعروس ويقوم أهل العريس وأهلها بتجهيزها وتوفير ما يلزمها من أثاث وما تحتاجه من ملابس وفرش

Scanned by CamScanner

وغير ذلك وغالباً ما كان يتم التجهيز من مدينتي عكا وحيفا القريبتين من البروة، وبعد الإنتهاء من التجهيز يحدّد يوم الزفاف بموافقة الطرفين، وعادة كانت تبدأ الاحتفالات قبل يوم الزفاف ببضعة أيام حيث توزع الدعوات التي كانت شفوية غالباً أو بالحضور الشخصي من قبل أهل العريس، أما أهل العروس فلا يقومون بدعوة أحد سوى النساء والبنات المقربات من العروس ابنتهم. كذلك كانت توجه دعوات للأصدقاء والوجهاء في القرى المجاورة وجميع نفقات حفلة الزفاف تكون على نفقة أهل العريس وفي مثل هذه المناسبة يقدم أقارب العريس وأصحابه هدايا كالأرز والسكر والقهوة والسمن والذبائح ويساهمون في الدعوات واستقبال الضيوف وتوفير كل وسائل الراحة لهم مع الاحترام، وهذه من صميم تقاليد المجتمع الريفي وخلق المسلم في احترام الضيف وتكريمه.

كانت تقام الحفلات الليلية ويحضرها رجال وشباب القرية من أجل الدبكة وحضور المبارزة بين الحدائين أو القوّالين وكان يصطف الشباب في صف طويل بجانب بعضهم بعضاً ويتبارى الحداؤون أو القوّالون بالشعر والعتابا وبعد كل مقولة منهما يرددون وبحماس (يا حلالي يا مالي) وبعد إنتهاء الشوط يرددون وبحماس (حاولوم، حاولوم... ألخ). وفي هذه الأثناء يقدم أهل العريس الشراب والقهوة والحلوى. وكان الشبان يغنون في الدبكة أغنيات مثل: «على دلعونا وعلى دلعونا راحوا الحلوين وخلّونا» و«وعلى العين يا أم الزلف» و«يا ظريف الطول» و«جفرة جفرة يا ها الربع» والعتابا والمواويل «حوّل يا غنّام حوّل بات الليلة هين بالله يا غنّام تقول لي حبك وين...» وكل أغنية كان لها لحن خاص ودبكة خاصة فهناك الدبكة الشعراوية والبلدية...

ويجدر بي أن أذكر بأنني لم أكن أهتم أو أكترث لهذه الأغاني

Scanned by CamScanner

بتاتاً وكل ما كان يهمني ويعجبني أقوال الحدائين التي هي نوع من الزجل والشعر والكلام المسجوع وفي تعابيرهم أحياناً الكلام المقذع ويكون الرد عليه أقسى وأقذع والتحديات هذه من قبلهما لم تكن لتسبب خلافاً أو زعل بينهما وخاصة أن كل واحد منهما سينال نصيبه من المال في نهاية الاحتفالات من أهل العريس، ومن القوّالين أذكر أبو أحمد الحطيني وواحد يقال له الريناوي وعابد ليلى وكان من البروة ولكن لم يمارس المهنة المرحوم أبو مصطفى أحمد عيشان، ومختار النصارى أسعد عطالله، هذا وقد يصبح كلام الحدائين والقوّالين يُردّد في كل مكان وهناك أمثلة مفصلة على أغاني وأقوال الحدائين والدبكات في كتاب حسين لوباني (الدامون) قرية فلسطينية محفورة في القلب (في البال).

وبعد الإنتهاء من أيام الاحتفالات تتوارد الخراف من الأقارب والأصدقاء وتنحر يوم العرس ويتم الطبخ على ما تيسر منها وكانت القطعة الواحدة تقرب من النصف كيلوغرام وتعمل الكبة النيّة أيضاً والفقّعية (طبخ لحم الغنم باللبن). وكان الطعام يقدّم في ساحة كبيره أو على سطح أحد البيوت الواسعة في صوان وأوان وجاطات كبيرة تصف على الأرض أو على طاولات إذا توفرتً مع صحون وملاعق وتبقى السفرة قائمة والمشرفون على الغداء يردّدون ألعيش يا جوعان والمي يا عطشان». ويتخلل هذا الغداء المناسف باللحم والأرز والصنوبر واللوز والكبة النية مع الحوسة واليخنة بأنواعها، ونظراً لكثرة اللحم الذي يُقدّم على سفرة الأعراس هناك مثل يقول «كلب لا يهرب من عرس» وذلك بسبب اللحوم التي كانت ترمى لها في مثل هذه المناسبة. ولا بد من أن أذكر أنه أثناء تناول الطعام من قبل المدعوين كانت بعض النسوة من أقارب وأهل العريس يحضرن ويغنين ويزغردن ومن أقوالهن للضيوف: «يا مرحباً بضيوفنا اللي

Scanned by CamScanner

شرفونا بأفراحنا كُلوا وتهنوا يا صحتين وصحة وسبع عوافي معها مع سبع غرائر سمسم وكل حبه فيها تقلكم صحة صحة»، وعبارات غيرها كثيرة. وقد أصبحت تلك الأيام كالحلم لنا ولأهلنا.

أما الآن وقد انتهت الاحتفالات والسهرات التي رافقتها فكيف كانت تتم حفلة العرس في القرية؟

في ليلة العرس وعادة تكون في يوم الخميس ليل الجمعة، يجتمع النساء من الأهل والأقارب من الطرفين في بيت أهل العروس وتكون ليلة «الحناء» فتبدأ العملية ببعض الأغاني للعروس وبعض الأناشيد الدينية وغيرها ويوضع الحناء أولاً على شعر العروس ثم على يديها وقدميها وفي صباح الجمعة يحضر النسوة من أقارب العريس وأهلها وصديقاتها ورفيقاتها حيث يقمن بتحميمها، ثم تقوم بارتداء بدلة العرس البيضاء ومن ثم تُجلّى على منصة خاصة ويوضع على رأسها التاج والشكلات ويُرش الطيب والعطور عليها وعلى الحاضرات أيضاً ومن ثم تبدأ لها حفلة من قبل الحاضرات بالأغاني والزغاريد والرقص من قبل النساء والفتيات الموجودات، وفي أثناء ذلك لا يمكن لأي من الذكور الدخول لهذا المكان، وبالإضافة الى الطرحة تضع العروس منديلاً على رأسها ويسدل أحياناً على وجهها وتستمر الحفلة لفترة لا بأس بها وكلّما تحضر مجموعة من النساء تتعالى الأغاني والزغاريد والتهاني والتحية للعروس، وتقف العروس وترفع المنديل الأبيض لتحيتهن. وعند اقتراب موعد الغداء يُحضر الطعام لبيت العروس من قبل أهل العريس بواسطة (فاردة = موكب) مجموعة من النساء في أوان كبيرة مغطاة باللحم واللوز والصنوبر وبقية أنواع الطعام المعد للإحتفال من قبل أهل العريس ويكفي الطعام لجميع الحاضرات عند العروس وأهلها. وأثناء سير موكب النساء اللواتي يحضرن الطعام يقوم بعضهن بالأغاني والزغاريد وكيل المديح

Scanned by CamScanner

للعروس وأهلها، مع الإشارة إلى كرَم أهل العريس لأنسبائهم من أهل العروس والذين يستحقون كل تكريم وتبجيل وثناء وبأن العائلتين أصبحتا عائلة واحدة. هذا ويستمر مجيء النساء إلى بيت العروس للتهنئة والمشاركة في الفرحة حتى يحين موعد نقل العروس إلى بيت الزوجية، وكلما حضر فوج تتعالى أصوات الأغاني والزغاريد وترتفع الدقة على «الدربكة».

أما بالنسبة للعريس فتختلف الطقوس عنها للعروس. ففي صبحية يوم الجمعة يحضر الشباب من الأقارب والأصدقاء لبيته، ويؤتى بالمزيّن (الحلاق) ليحلق للعريس وأثناء الحلاقة تغنّى الأغاني مثل «إحلق يا حلاق بالموس الذهبية واصبر يا حلاق لتجيء الأهلية» وغير ذلك من العبارات التي تمدح العريس.

وبعد الانتهاء من الحلاقة يكون الحمام جاهزاً للإستحمام ويقوم بعض أصدقائه بتحميمه وعندما ينتهي من الحمام، يقوم العريس بمساعدة رفاقه بارتداء بدلة العرس والحطة والعقال والطاقية المطرزة ويرش على العريس ورفاقه العطر والطيب وبعد ذلك يخرج مع رفاقه الشباب بكامل أناقته إلى مكان أعدَّ له للجلوس وأمامه باقات الورد والزهور وهم يرددون: «عريسنا بدر منير عالأرض يضيء وينير، يا شمس غيبي من السماء على الأرض عنا عريس» وتتعالى الهتافات.

وبعد أن يستقر العريس في مكان جلوسه تقوم مجموعة من رفاقه وأصدقائه الشبان بتأدية الدبكات والرقصات أمامه والحاضرين والمصحوبة ببعض الأغاني والعتابا والعبارات الجميلة والحركات الرشيقة والقفزات الجميلة البهلوانية ويكون على رأس حلقة الرقص شاب يُسمّى الروّاس ويحمل بيده محرمه أو عصاة يترك الحلقة ويقوم بتلك الحركات الجميلة ثم يعود وينضم إلى رفاقه وتتعالى الأغاني، وأثناء هذا الحماس كان يأتي بعض قريبات العريس كأمه وخالاته

Scanned by CamScanner

وعماته يغنين له وترتفع الزغاريد والأهازيج، هذا وقد كان يتناوب الشبان في الدبكة فالذي كان يتعب يستريح ويأتي من يحل مكانه وتستمر الدبكة. في هذه الأثناء كان يتم من قبل الأهل وأقارب العريس استقبال الضيوف الذين يحضرون للمشاركة في الاحتفال حيث يقومون بتهنئة العريس وتقبيله ويتمنون له السعادة والفلاح والعائلة السعيدة. كما كان أهل العريس يقومون بواجباتهم من تقديم للقهوة والمرطبات والماء والسجائر...

وعندما يحين وقت الغداء ويكون ذلك بحدود الساعة الثانية بعد الظهر يبدأ الأهل والأقارب بمدّ وتهيئة المائدة للحضور وترتفع زغاريد النساء وأغاني الفرح التي تعبر عن كرم أهل العريس وحبهم لإكرام ضيوفهم وغير ذلك من عبارات الإطراء والمحبة للضيوف الكرام وحثّهم على تناول الطعام المتقن الصنع والمميّز حتى الشبع، وعادة تكون السفرة كبيرة جداً، وكان كلما انتهى فوج يأتي فوج آخر ليحلّ مكانه. ويتجدّد طعام المائدة لهم. وبعد الانتهاء من تناول الغداء تقدم القهوة السادة والمرطبات وتكون فترة إستراحة لجميع الضيوف والحاضرين.

بعد الاستراحة يتجمّع الشباب والرجال والشيوخ ويُحضَر العريس وتنظم الصفوف وينطلق الموكب بالعريس للطواف به في مكان محدّد وأثناء سير الموكب تواكب العريس الخيول الأصيلة التي يمتطيها بعض الخيّالة من الشبان، والسير إلى المكان المقصود لا يكون صامتاً فهناك الأهازيج والأغاني. ويقوم بعض الفتيان بالرقص أمام الفاردة (الموكب)، ويقوم الفرسان ببعض التدريبات والألعاب حتى يصلوا إلى المكان المحدّد، وعادة يكون ذلك عند تينات البيّاضة على طريق بئر الغربي أو على أحد البيادر الكبيرة، وهناك تنصب الدبكة وتقال العتابا وقد يقوم بعض الشبان بلعبة السيف والترس، وبعد

Scanned by CamScanner

ذلك يجري سباق للخيّالة لمعرفة الحصان أو الفرس الفائزة بهذا السباق، وبعد انقضاء فترة لا بأس بها يتهيأ جميع المرافقين ليعودوا بالعريس إلى بيته بحفاوة كبيرة، وبعد أن يستقر العريس على كرسيه ربما بفسحة أو ساحة عند بيته عندئذ يتوجه موكب من أهل العريس وأقاربه وأصدقائه المقرّبين إلى بيتً أهل العروس لنقلها إلى بيت الزوجية حيث يطلبون الإذن من أهلها بعبارات كلها لطف ورقة ومحبة وفي خلال فترة إنتظار قصيرة يقوم أهلها والدها وأمها وأخوتها وأقاربها (بتنقيطها) والنقوط هي عبارة عن تقديم مبلغ من المال أو الذهب كهدية لها وطريقة ذلك تكون كالآتي:

خَلَف الله عليك يا أبو فلان أو يا فلان (يذكر الاسم) أو فلانة هذا نقوط منك للعروس وعقبال أولادك وأفراحك ويتبع ذلك زغرودة (ومهاهاة). وهكذا حتى يفرغ من الجميع وقد يقدم النقوط من غير الأهل كالأصحاب والجيران حيث يقوم الأهل أو العروس في مناسبات مماثلة بردّ الواجب لهم، وكذلك تتم نفس العملية للعريس في بيت أهله، وهكذا يبدأ العريس وزوجته حياتهما وهما في بحبوحة بما قُدِّم لهما من الأهل والأحبة.

بعد الانتهاء من عملية تنقيط العروس يقوم والد العروس وأحد أخوتها ويقودونها إلى الفرس أو الحصان ألمهيأ لتمتطيه العروس وهي ترتدي البدلة البيضاء وترفع من تحت الطرحة يدها إلى أعلى وقد تحمل في يدها مسدس أو شبرية (خنجر) أو محرمة بيضاء، يتقدم العروس موكب من الرجال وهي تسير خلفهم على صهوة الحصان وخلفها تسير النساء والفتيات يدربكن ويغنين بعبارات كلها مديح وثناء لأهل العروس والعريس والزغاريد تتعالى مع الأغاني، وعندما تصل إلى بيت زوجها تترجّل عن صهوة الحصان أو الفرس وتدخل بيت الزوجية وسط الأهازيج والزغاريد والأدعية لهما

Scanned by CamScanner

بالتوفيق والسعادة من الأهل والأقارب والأصحاب ويتم لصق قطعة من العجين في أعلى المدخل الذي تدخل منه العروس وذلك تيمّناً وبركة، وبعد أن تستقر في بيت الزوج على منصة خاصة بها ووجهها مغطّى بمنديل أبيض، بعد ذلك يدخل العريس إلى حيث تجلس العروس ليكشف المنديل الأبيض عن وجهها ولكن قبل توجهه لنزع المنديل يقوم أحد مرافقيه بالآذان ويده على رأس العريس، بعد الآذان يدخل العريس ويكشف المنديل عن وجه عروسه وتتعالى الزغاريد والهتافات والعبارات المباركة والداعية لتوفيقهما وتوضع كرسي ليجلس العريس بجانبها وجميع الحضور يدعون لهما بالسعادة والتوفيق والحياة الهانئة وأن يرزقهم الله تعالى البنين والبنات.

التهاني وردّة الرجل:

وخلال الأسبوع الذي يلي يوم الزواج يتوافد المهنئون للتهنئة والمباركة للعروسين حاملين معهم الهدايا المناسبة، هذا ويقوم العريس وأهله بواجباتهم تجاه المهنئين وبعد أن ينقضي أسبوع من يوم الزواج يصطحب العريس زوجته ومعه هدية مناسبة إلى أهلها حيث يرافقه أهله أيضاً في هذه الزيارة وهي الأولى بعد الزواج وتسمى هذه الزيارة «ردّة الرجل»، وفي هذه المناسبة يكون أهل العروس قد هيأوا لابنتهم وزوجها وأهله سفرة غداء مناسبة تليق بهم.

وهكذا تكون قد انتهت مراسيم الزواج، والجميع يدعو لهما بالرفاه والبنين والسعادة الدائمة. ومن الطبيعي أن يعرف الجميع بأن حفلات الزفاف في القرية تتفاوت كل حسب طاقته وقدرته المادية والعائلية، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

بعد إعطاء هذه الصورة العامة عن البروة في مختلف نواحي حياة أهلها التي أرجوا أن يعرفها جميع أبنائنا الذين ما زالوا يعيشون حياة

Scanned by CamScanner

الذل والقهر على الرغم من مرور ثلاثة وخمسين عاماً على النكبة، أعود لأنقل لكم ذكرياتي منذ الطفولة المبكرة حتى عام ١٩٤٩ عن الثورة والقتال والحرب والهجرة أنقلها كما عشتها فعلاً في حلوها ومرّها وما أكثر مرّها وما أقل حلوها.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

مقدمة
عن ذكرياتي المبكرة

Scanned by CamScanner

قبل أن أبدأ في كتابة ذكرياتي منذ طفولتي المبكرة وحتى أواخر عام ١٩٤٩ لا بد لي من أن أوضح بأن هذه الذكريات ليست من الخيال ولا مقتبسة من مراجع أو مصادر معينة بل هي واقعية وحقيقية عن المعاناة والمآسي التي مررت بها وأهلي وأهالي قريتي والقرى المجاورة في فلسطين بشكل عام.

في هذه الفترة من الزمن وفي أول مراحل حياتي لم أكن أدرك أبعاد وحجم المأساة التي كان يعيشها شعبنا والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا وعلى أبشع ما يكون من الوحشية والظلم أمام أعين العالم كله وعلى مرأى ومسمع كل الحكام العرب والمسلمين وكأن الأمر لا يعنيهم وكأن حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، أو قوله عليه الصلاة و السلام : «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منع عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر». هذا ولا أزال أذكر قول المجاهد الجزائري محمد خيضر عام ١٩٧٠ «لو أن الكرة الأرضية بكاملها كانت قنبلة وكنت فلسطينياً لأشعلت فتيلها» ولم يقل ذلك عبثاً وإنما بسبب الظلم والقهر الذي يعانيه الشعب الفلسطيني من عدوان الصهاينة عليه وتشريده ومآسيه المستمرة دون شفقة أو رحمة لا من أهله ولا من المجتمع الدولي.

الحدث الأول:

أول حدث أذكره في حياتي، أظن وأنا في سن ما بين الثالثة والرابعة وكان في أواخر ثورة فلسطين ١٩٣٦ أي في عام ١٩٣٨، علماً أن الثورة استمرت حتى عام ١٩٣٩. أذكر أن المرحوم والدي كان يمسكني بيدي خلف بيتنا في البروة في الوقت الذي كانت به الطائرات الإنكليزية تلقي قنابلها (كانوا يقولون قازانات) على الثوار

Scanned by CamScanner

المجاهدين في معركة الليّات والتي تبعد نحو ٣ كيلومترات الى الشرق من البروة، وقد استمرت المعركة حتى حلول الظلام، هذه هي أول حادثة مهمة أذكرها في أول حياتي، وقد استشهد في هذه المعركة عدد من مجاهدي البروة: الشهيد فضيل الدلة، الشهيد حمودي الجودي، الشهيد نجم مصطفى، الشهيد ابراهيم سلطانه (سعد)، والمرحوم شكري الواكد ولا أعرف إن كان هناك شهداء غيرهم، وقيل بأن بعضهم استشهد برصاص الإنكليز دون أن يشترك في معركة الليّات.

الحدث الثاني:

أما الحدث الثاني فهو عن وقوع إنفجار قرب البروة وبالتحديد كما عرفت بممر الطريق بين تل البروة وهضبة الرأس حيث كانت تمر قافلة للجيش البريطاني باتجاه بلدة شفاعمرو وهي تنقل جنوداً لملاحقة ثوار فلسطين، وبما أن هذا الإنفجار قد وقع على بُعْد أقل من كليومتر واحد من قرية البروة فجاءت قوات إنكليزية وطوّقت القرية من جميع الجهات وطلبت من جميع الرجال في القرية حتى الشيوخ منهم التجمّع في ساحة وسط بيوت سعيد الدلّة ومحمد الدلّة وحسين الواكد وكان كل من يحاول الفرار تطلق عليه النار، حتى أن المرحوم الشهيد أحمد العبّادي (زوج خالتي صفية عبد اللطيف) كان ينتقل من فتحة (دخنوسة) في نبات الصبير إلى ناحية البيادر في الحارة القبلية في القرية وأطلقوا عليه الرصاص وقتل على الفور، وبعد أن تمّ تجميع الرجال، وقد مرّوا على البيوت للتفتيش وكانت ترافقهم كلاب أثر لإحضار الناس، إختاروا عدداً من الشبان والرجال من متوسطي العمر، وأنزلوهم إلى منطقة محاذية للقرية من جهة الشمال تُسمّى المجاوبة وهي عبارة عن غابة كبيرة من الزيتون (العمّاري) الكبير ويحدها من جهة الغرب حواكير كلها محاطة بنبات الصبّير الكبير

Scanned by CamScanner

وباشر جنود الإنكليز ضرب الرجال والشبان بالعصيّ والسياط ويطاردونهم على ظهور الخيل وقام قسم منهم بقطع فروع وألواح الصبير على رؤوس الشبان وأجسامهم، بالإضافة إلى ضربهم المبرح بالسياط والعصيّ، وبما أنهم كانوا يطاردونهم على ظهور خيولهم بهذا الشكل الوحشي فسقط من سقط على الأرض وأغمي على عدد كبير منهم بسبب هذا العقاب الوحشي الجماعي، وقد كنت وعدد من الأطفال الصغار نقترب من إرتفاع ما يقرب من ثمانية أمتار تحت شجرات تين دار أسعد عطا الله لنرى ماذا يفعلون، فصاروا يقذفوننا بالحجارة لكي لا نشاهد وحشيتهم وإجرامهم، وقد استمرت المطاردة والتعذيب على هذا الحال حتى غروب الشمس وكانت الدماء تسيل من أجسامهم وأرجلهم وأدخل الكثير منهم إلى المستشفى في مدينة عكا وكان من بين المصابين وهم كثر عبد الله عبد الرحمن دبدوب من أقاربنا وأحمد سعيد وكثيرون لا أذكر أسماءهم، وقد كان ذلك اليوم يوماً عصيباً ويوم مقت وحزن على جميع أهل القرية، وقد سميّت هذه الجريمة النكراء بموقعة «الصّبر».

وأذكر أيضاً بأن المجاهدين المسلّحين بالبنادق كانوا يجتمعون في البروة ويتنقلون في الليل لنصب الكمائن لدوريات الإنكليز التي جعلت من نفسها حامية ومدافعة عن المستوطنين الصهاينة على أرض فلسطين، لقد كان لهذه الثورة أثر كبير في حياة الشعب الفلسطيني، والمؤسف أنها إنتهت بوعود من بعض المسؤولين العرب والإنكليز ولم يتحقق من هذه الوعود شيء، كما أنها لم تتمكن من درء الخطر المحيق بشعبنا وأهلنا وبلدنا ومستقبلنا ومستقبل أجيالنا. وها نحن لا نزال ندفع الثمن الغالي من الدم والشهداء ولم يتوقف الإغتصاب للأرض والوطن والمقدسات حتى يومنا هذا، وقد أصبحنا وأطفالنا أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، وكما قال الشاعر الفارس أبو

Scanned by CamScanner

فراس الحمداني :

لقد صار هذا الناس إلاّ أقلهم ذئاباً على أجسادهن ثياب

الحرب العالمية الثانية والأمل:

جاءت الحرب العالمية الثانية الضروس لاصطياد الغنائم من أراضي وبلدان وثروات الشعوب الفقيرة وكل دولة تريد حصة الأسد من هذه الغنائم وهنا وقعت الواقعة بين الدول المتنافسة ومصير شعبنا الفلسطيني الفقير المغلوب على أمره الرازح تحت حكم الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس، حيث مصيره ومستقبله مجهول ولا يملك سوى إيمانه بالله لدرء الخطر عن نفسه ورب العالمين يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» ولكن أين الإعداد وأين القوة التي أعددناها، وبتنا ننتظر كرم الحكومات العربية لمساعدتنا على أعدائنا وأعداء الإنسانية اليهود وقد كان أملنا بأن هذه الدول ستحفظ لنا حقنا في وطننا وأرضنا ومقدساتنا وستحمينا من ذئاب الصهاينة في الوقت المناسب.

كانت حكومة الإنتداب قد جعلت من شعب فلسطين شعباً فقيراً جاهلاً وخاصة في الأرياف وأعطت الصهاينة كل أسباب القوة لتمكنهم من قهر شعبنا. أما الفئة المتعلمة من الفلسطينيين فكانت تتنازع فيما بينها بدلاً من أن توحد كلمتها وجهودها لمقاتلة العدو الصهيوني الشرّس، وكانوا يثقون بوعود الثعلب البريطاني وحكام الإنكليز الذين جلبوا كل الويلات والمصائب لشعبنا وأمتنا وهم يحيكون سراً وعلانية المؤامرات والدسائس ضد الشعب الفلسطيني لقهره والتخلص منه وتسليم أرضه ووطنه للصهاينة المستوردين من كل أنحاء العالم.

Scanned by CamScanner

وفي ظل هذه الظروف المحيطة بقضيتنا والضباب الذي يلفها بدأت الحرب العالمية الثانية بين دول الحلفاء التي تضم بريطانيا وفرنسا وأميركا وروسيا ودولاً أوروبية صغيرة غيرها ودول المحور التي تضم ألمانيا وإيطاليا واليابان ودولاً صغيرة تؤيدها. لقد تأمل العرب أن تنتصر دول المحور بزعامة ألمانيا وبذلك يتخلصون من تصدير المستوطنين الصهاينة إلى فلسطين والمدعومين من دول الحلفاء لغايات يبيّتونها ألا وهي زرع جسم غريب في قلب الوطن العربي إنتقاماً لهزيمتهم التاريخية في الحروب الصليبية وطردهم من بلادنا ولتكون قاعدة لهم لفرض هيمنتهم على الأمة العربية والإسلامية ومن أجل الإستيلاء على ثرواتهم ومقدراتهم ولتكون كلب حراسة لهم في هذه المنطقة. إستمرت الحرب العالمية الثانية بكل وحشية وشراسة بين كرّ وفرّ حتى عام ١٩٤٥، وانتهت هذه الحرب بعكس ما يرغب العرب وأهل فلسطين:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

إنتصرت دول الحلفاء على دول المحور وسقطت آمال أهل فلسطين والعرب بسقوط دول المحور بعد إلقاء قنبلتين نوويتين على هيروشيما ونيازاكي في اليابان.

لجان دولية وبريطانية وغيرها:

كان أهل فلسطين والعرب يستقبلون قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها وبعدها لجاناً بريطانية وأميركية ودولية لدراسة الوضع في فلسطين بين العرب واليهود، وكانت تخرج بنتائج وآراء وإبداء وجهة نظرها حيال مستقبل هذا البلد الذي هو ملك لعرب فلسطين والمسلمين منذ آلاف السنين، وقد كان اليهود وهم أقلية لا يملكون من أرض فلسطين أكثر من ٦٪ عام ١٩٤٧، وقد أعطيت لهم من قبل

Scanned by CamScanner

الدولة المنتدبة من الأملاك العامة والشواطئ البحرية وكان عددهم أقل من مئة ألف في العشرينات في جميع أنحاء فلسطين. وكانت عصبة الأمم التي شُكّلت بعد الحرب العالمية الأولى ثم أصبحت منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية هي الآمرة والناهية في هذا العالم وعلى رأس هذه المنظمة كانت الدول المنتصرة في الحرب وهي دول الحلفاء التي تملك حق النقض (Veto) في قرارات مجلس الأمن المنبثق عن هيئة الأمم المتحدة وهي القادرة على فعل ما تريد في هذا المجلس وفي هيئة الأمم المتحدة ولا أرغب الدخول في تفاصيل هذا الموضوع لأنني لم أكن في ذلك الوقت في مستوى النضج الذي يمكنني من معرفة كل شيء، ومن يريد التوسع في الأمر يرجع إلى تاريخ هذه المنظمة السيئة الذكر، التي وجدت أصلاً لقهر الشعوب الفقيرة ولفرض هيمنتها عليها ونهب خيراتها وثرواتها واستعبادها وإذا كان لهذه الدول حقوق مشروعة فعليها أن تستجدي وتتوسل للدول الكبرى كي تحصل على حقها وبثمن ربما سيكون باهظاً.

قرار تقسيم فلسطين:

والخلاصة في ذلك ورغم معارضة عدد كبير من الدول العربية والاسلامية وغيرها أقروا تقسيم فلسطين (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧)، وقد كان عدد الدول العربية في ذلك الوقت سبع دول هي مصر والسعودية والعراق وسوريا والأردن ولبنان واليمن. ودولنا العربية في ذلك الوقت لم تكن تملك من الإمكانات والقدرات والوزن الدولي غير الألقاب كصاحب الجلالة والسمو والفخامة أو المعالي وذلك بسبب ما يُفرض عليهم من الدول الظالمة المتحكمة في رقاب دول هذا العالم، ولم تكن هذه الدول تملك من أسباب القوة غير الكلام الذي لا قيمة له إذا لم يكن هناك قوة فاعلة تدعمه وخاصة أن

Scanned by CamScanner

معظم هذه الدول قد وجدت بفعل الدول الإستعمارية وجعلت تركيبتها كما تريد وتبغي وفي ما يخدم مصالحها وضد مصالح أمتنا وشعوبنا ولا مجال هنا للخوض في تفاصيل ذلك ولكن اللبيب من الإشارة يفهم. وقد كان من المندوبين الأقوياء للدول العربية مندوب سوريا فارس الخوري الذي كان يصول ويجول في خطاباته للدفاع عن قضية فلسطين وقضايا العرب أمام دول ذلك الوقت، وكان دفاعه قوياً عن فلسطين وشعبها وأحقيته في الاستقلال، ولكن الأمور كانت ترتب وتسير كما تريد الدول الاستعمارية.

في نفس الوقت كانت دول الحلفاء ومن يدور في فلكها (والكل كان تقريباً يدور في فلكها) تعطي اليهود الصهاينة وتمكّنهم من كل أسباب القوة والدّعم لقهر الشعب الفلسطيني والعربي وتنفّذ بخبث ولؤم خططها على أرض فلسطين لإقامة الدولة الصهيونية المغتصبة، وقد اعترفت الدول الكبرى وعلى رأسها أميركا والاتحاد السوفييتي خلال دقائق بدولة اليهود دون الإلتفات أو التفكير بمصير الشعب الفلسطيني الذي يملك الأرض ويمثّل الأكثرية الساحقة على أرض فلسطين.

وهكذا قررت منظمة الظلم والطغيان الدولية والتي تسمى الأمم المتحدة التي لا تعرف لا الحق ولا العدل ولا الشرعية إلاّ شرعية الغاب، وأية شرعية هذه التي تفرض إرادتها على الشعوب الفقيرة وتغتصب أراضيها وممتلكاتها لتعطيها لأناس غرباء عنها مقيمين ومستقرين أصلاً في دول أوروبا وغيرها. نعم اجتمعت هيئة «اللّمم» وصوتت على تقسيم أرض فلسطين التي هي ملك للعرب من مسلمين ومسيحيين إلى قسمين قسم يعطى لمن لا يملك شيئاً من أرض فلسطين إلاّ ما اغتصبه الإنكليز وأعطوه لليهود عنوة واغتصاباً من أملاك عامة وشواطئ وغيرها أثناء الإنتداب، وقسم أقل يعطى

Scanned by CamScanner

لأصحاب الأرض الأصليين أهل فلسطين، وجرى التصويت في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ ونال الأكثرية بفعل تأثير وضغوط الدول الكبرى على دول معظمها حديثة ومنحتها الاستقلال الدول التي كانت تستعمرها لتكون ألعوبة في أيديها.

عند ذلك ثارت ثائرة الشعب الفلسطيني على هذا القرار الظالم الذي يمنح أرض شعب فلسطين لمن ليس له في فلسطين شيئاً غيرما أعطته له حكومة الخبث والقهر والظلم بريطانيا. والغريب يا إخوان أن هذه الدول المجرمة ما فتئت ليلاً نهاراً تقرع الطبول والزمور وتردد بأنها راعية حقوق الإنسان وبأنها بلاد الديمقراطية والمساواة والحرية والعدل!! فبئس على هكذا دول كلها كذب ونفاق...

بعد صدور هذا القرار الجائر قررت حكومة الإنكليز المنتَدبة على فلسطين (عدوة العرب والمسلمين) إنهاء إنتدابها الذي بدأ بعد مَعاهدة سايكس ـ بيكو بعد الحرب العالمية الأولى، قررت أن تنسحب في ١٥ أيار ١٩٤٨، حيث تكون رتّبت كل الأمور لصالح دولة الصهاينة المنتظرة في فلسطين، فخلال فترة انتدابها كانت تعمل جاهدة وبشكل مستمر لخلق دولة الظلم والعدوان على أرض فلسطين وهذا ما جعل فترة حكمها لفلسطين مليئة بالفتن وقيام الثورات على الظلم من قبل الشعب الفلسطيني وكان أهم هذه الثورات ثورة عام ١٩٣٦.

لا بد من أن أشير إلى أنه بعد صدور قرار التقسيم الجائر الذي رفضه العرب بدأ الشعب الفلسطيني يهيئ نفسه لمواجهة العصابات الصهيونية المسلحة تسليحاً جيداً والمدربة تدريباً عسكرياً حسناً من دولة الإنتداب المنحازة، بدأ شعبنا بالبحث عن السلاح وشرائه وتوفير ما يستطيع توفيره من وسائل الدفاع، فكان يضطر المواطن الفلسطيني لبيع ما يملك من ماشية أو عقارات لشراء السلاح من أجل الدفاع عن نفسه وأهله وأرضه ومقدساته، هذا بالإضافة إلى ما كان

Scanned by CamScanner

يأمله من مساعدة كبيره من حكومات الجامعة العربية في ذلك الوقت، فقد كانت القناعة عند شعبنا بأن هذه الحكومات لن تتخلى عنه وبأنها سوف تدافع عنه وتحفظ له أرضه وحياته بواسطة الجيوش التي كان متوقعاً أن تدخل فلسطين لنجدته وإنقاذه من عصابات الصهاينة التي بدأت باعتداءاتها في كل مكان من فلسطين.

لكن ما الذي حصل قبل دخول جيوش الدول العربية إلى فلسطين؟ لقد بدأت المناوشات في كل مكان على أرض فلسطين وخاصة في المدن المختلطة من العرب واليهود، فحصلت معركة مصفاة البترول قرب مدينة حيفا والواقعة على نهر المقطّع، حيث حضرت مجموعة من العصابات اليهودية وألقت متفجرات على الموظفين العرب عند مدخل بوابة شركة البترول وأصيب عدد من العمال العرب بجروح خطرة وقتل بعضهم، فهاج العمال والموظفون العرب العاملون في الشركة وانقضّوا على العمال والموظفين اليهود بالعصي والفؤوس (والرفوش) وكل ما تطاله أيديهم وقتلوا وجرحوا عدداً كبيراً منهم. وهكذا بدأت المناوشات في حيفا ويافا وطبريا وصفد والقدس وفي كل الأماكن التي تتواجد فيها المستعمرات اليهودية والقرى العربية وصارت العصابات الصهيونية المسلحة تُغير على الأحياء والقرى العربية والأماكن المنعزلة لنشر الخوف والرعب في قلوب السكان العرب، فصارت الأحياء العربية في المدن والقرى العربية في كل مكان ترتب دوريات مسلحة وحراسات في القرى وخاصة بعد أن أغارت هذه العصابات ليلاً على قرية سعسع في أقصى الشمال من فلسطين ونسفت بالمتفجرات عدداً من البيوت على رؤوس أهلها، ولا مجال هنا لأتحدث عن معارك حيفا ويافا وسلمه وصفد وطبريا والقدس وباب الواد والكابري، وكل من يرغب أن يعرف بالتفصيل عن هذه الأحداث والمعارك أن يعود إلى ما كتب عنها

Scanned by CamScanner

بالتفصيل في كتب تناولت المعارك التي حصلت، لأنني في هذا الكتيّب أريد أن أذكر قدر الإمكان كل ما يتعلق بقرية البروة وما عانيته وعشته في خضمّ هذه الأحداث ومن الذاكرة.

من الجدير بالذكر هنا أن الجامعة العربية جهّزت جيشاً من المتطوعين العرب بقيادة عدد من الضباط العرب وعلى رأسهم القائد فوزي القاوقجي الذي بدأ معاركه الأولى مع اليهود قرب القدس وفي باب الواد، وبشكل مفاجئ انتقل هذا الجيش الذي كان حائلاً دون دخول قوافل اليهود إلى القدس لتزويد اليهود هناك بالسلاح والذخائر والمؤن من تل أبيب وغيرها. إنتقل هذا الجيش من جنوب فلسطين إلى لواء الجليل في شمال فلسطين للدفاع عنه مع الجيوش العربية التي ستدخل من الشمال لتحرير ما أحتله اليهود من شمال فلسطين قبل جلاء الإنكليز المنتدبين الذين كانوا متواطئين مع اليهود لاحتلال البلاد وقتل الناس وخاصة في طبريا وحيفا وصفد، ولواء الجليل الذي يضم أقضية عكا وصفد وطبريا والناصرة وبيسان.

لا بدّ لي من أن أذكّر أيضاً بالقوات والفصائل والحاميات الفلسطينية التي أنشئت للردّ على الاعتداءات الصهيونية في كل مكان من أرض فلسطين والتي كانت تقودها عصابات إرهابية منها «الهاغانا، ستيرن، الأرغون وإيتسل...» ومن الفصائل والحاميات الفلسطينة التي تشكلت إبّان ذلك قوات الجهاد المقدس بقيادة الشهيد القائد عبد القادر الحسيني، وقوات ابو محمود الصفوري وحامية شعب بقيادة أبو إسعاف وقوات القائد أبو إبراهيم وغيرها في حيفا ويافا وطبريا وكانت كل قرية تجهّز نفسها حسب قدراتها وإمكاناتها وكل ذلك بجهود محلية، والقوات المذكورة هذه كان ينقصها العتاد والكفاءة والتدريب، ولكن إيمانها بحقها كان قوياً ومعنوياتها عالية جداً للدفاع عن وجودها وأرضها. وكما أن هذه القوات كان ينقصها

Scanned by CamScanner

التنسيق والتنظيم الجيد، وكان عندما بقع أعتداء أو معركة في أي مكان يهب أفراد هذه القوات لنجدة إخوانهم دون تردد.

معركة هوشة والكساير:

في أوائل شهر آذار ١٩٤٨ مرّت قافلةٌ من السيارات محملة بالجنود المدججين بالسلاح تقدر بما يقرب الـ ٥٠٠ مقاتل ولما استفسرنا عن هؤلاء الجنود قيل لنا أن القائد شكيب وهَّاب قد جاء على رأس كتيبة من المتطوعين وتوجهت إلى بلدة شفاعمرو لتعسكر هناك وقد فرح الناس عندما وصل هذا القائد ليشارك شعبنا في الدفاع عن أرضه ووطنه وخاصة أن هذه الكتيبة كانت مسلحة تسليحاً حسناً وكانوا يملكون رشاشات ثقيلة من نوع هوتشكز وغيره.

وبعد يومين من وصول هذه الكتيبة خاضت هذه القوات مع المقاتلين المحليين معركة ضد اليهود في قريتي هوشة والكساير وقد استبسل جنود هذه الكتيبة في القتال وأحرزوا تقدماً كبيراً في بداية المعركة إلا أنهم لم يتمكنوا من دحر اليهود، وفي نهاية المعركة لم يتمكنوا من استعادة السيطرة على هاتين القريتين. بعد هذه المعركة التي خسرها هذا القائد، لم نعد نسمع شيئاً عن قواته ولم أعرف أين ذهبت أو اتجهت هذه القوات ولم يعد يرِدُ ذكرها مطلقاً.

قلق وتوتر:

ومهما يكن من أمر فإن الفترة الممتدة بين اتخاذ قرار التقسيم في ٢٩ / ١١ / ١٩٤٧ و١٥ أيار/ سنة ١٩٤٨ تاريخ إنتهاء الانتداب الإنكليزي على فلسطين كانت فترة قلق وترقب ومناوشات يشن فيها كل من العرب واليهود غارات متبادلة دون تحقيق أية نتائج حاسمة. ثم ازدادت هجمات اليهود واحتلوا أراض وقرى في أماكن متعددة

Scanned by CamScanner

من الجليل، ورغم كل ذلك كان الفلسطينيون يأملون الكثير من الجيوش العربية التي ستدخل فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨ وهو آخر يوم للانتداب وأن المعركة ستحسم لصالح أهل البلد الأصليين من الشعب الفلسطيني.

وقد قامت العصابات الصهيونية خلال هذه الفترة بمجازر وأعمال وحشية رهيبة في عدة أماكن من أرض فلسطين وذلك تحت سمع جيوش الانتداب الإنكليزي وبصرها والتي كانت تمنح الصهاينة كل المساعدات وتتظاهر بأنها على الحياد ولقد استولى اليهود على مدن حيفا ويافا وطبريا وصفد ولم يتحرك أحد لا من الجيوش المنتدبة أو العربية لوقف ذلك في الوقت الذي كان فيه من واجب قوات الانتداب أن تدخل وتمنع ذلك وأن لا تسمح لهذه العصابات بالاعتداء على الفلسطينيين أو احتلال بيوتهم وطردهم منها وقد حصل ذلك كما سبق وقلت في حيفا وطبريا وصفد ويافا وقرى ومواقع متعددة أخرى، وقد قُتلَ المئات منهم وشرّد عشرات الآلاف من بيوتهم وأراضيهم وقراهَم قبل أن ترحل قوات الإنكليز عن فلسطين، إن المشاهد للجرائم الوحشية التي حصلت لأهلنا وشعبنا يشيب من هولها الأطفال ويندى لها جبين كل إنسان حر... والقوات البريطانية في الداخل والجيوش العربية على الحدود كانت شاهد زور على ما يجري في كل مكان من فلسطين، وكما قال المتنبي:

رماني الدهر بالأرزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال علَى النصال

دفاع الشعب الفلسطيني عن أرضه ووطنه:

رغم عدم تكافؤ القوى من حيث العتاد العسكري والتدريب،

Scanned by CamScanner

فإن الشعب الفلسطيني أظهر شجاعة فائقة في قتال العصابات الصهيونية المعتدية في معارك عديدة كمعركة الكابري والشجرة والصبيح ولوبية وطبريا وصفد وحيفا وعكا ويافا وباب الواد والقسطل. . . . وقد استعمل الصهاينة أساليب وحشية ورهيبة في القتل والإجرام للنساء والأطفال والشيوخ وكانوا يقومون بكل ذلك من أجل بث الرعب والخوف في قلوب السكان العرب وذلك كما فعلوا في دير ياسين وحوّاسه وبلد الشيخ قرب حيفا وفي بلدة ناصر الدين قرب طبريا وفي سعسع والطنطور ونحالين ومجد الكروم والصفصاف ولاحقاً لكفر قاسم وقبية والسّموع وغيرها كثير، وكان أهل فلسطين ما زالوا بإنتظار الجيوش العربية التي ستدخل فلسطين لحمايتهم وإعادة المهجرين منهم إلى بيوتهم وقراهم التي تركوها عامرة في أماكن عدة من أنحاء فلسطين.

وهنا أقول (رغم أنني كنت طفلاً أثناء ذلك) لا أريد أن أدخل في متاهات الكذب والنفاق والخداع التي مورست على شعبنا الفلسطيني من كافة الجهات عربية وأجنبية وصهيونية، وفترات الهدنة الكاذبة والمفروضة على العرب وعلى أهل فلسطين أكبر دليل على ذلك. أما اليهود فكانوا طلقاء يفعلون ما يشاؤون ولا من يرى أو يسمع لا عرب ولا غيرهم والضحية دائماً هو الشعب الفلسطيني الفقير المعتّر الحزين المنكوب الذي خسر أماكن كثيرة من فلسطين قبل جلاء الإنكليز المتآمرين علينا والذين جاءوا أصلاً لتسليم فلسطين في نهاية انتدابهم للعصابات الصهيونية التي صدّرها إلينا الغرب من شتّى أنحاء العالم للتخلص من اليهود يهود شايلوك وألمانيا وبولندا وكافة أنحاء أوروبا وحتى يهود أمريكا أولاً وثانياً لجعلهم قاعدة لهم في بلادنا لضرب من يحاول أن يسير نحو التقدم ولإبقاء بلادنا سوقاً استهلاكية للغرب وليستمر في سرقة خيراتنا وثرواتنا، كل ذلك من أجل طرد شعب آمن

Scanned by CamScanner

في أرضه ووطنه لتحل مكانه عصابات مجرمة لا ترعى حرمة ولا ميثاقاً ولا ذمة وأكبر شاهد على إجرامها عندما حاول الكونت برنادوت أن يقول الحقيقة ونادى بعودة الفلسطينيين المهجرين من مدنهم وقراهم إليها كان جزاؤه القتل وهو سويدي وشقيق ملك السويد.

وجيوشنا العربية (المظفّرة) التي دخلت فلسطين لإنقاذها من الغزاة الصهاينة وقفت تتفرج على إخوانهم يُقتّلون ويُذبّحون ويُشرّدون تائهين لا حول لهم ولا قوة في البراري والجبال والوديان بالجوع والعطش حفاة عراة للنجاة بأرواحهم فقط لعل وعسى أن يعود الأمل إليهم بقدرة الله تعالى في يوم من الأيام. وهنا كلمة حق يجب أن تقال، إن عناصر الجيوش العربية كانت تتحرّق شوقاً للقاء الأعداء ومن يؤازرهم من أجل نيل الشهادة أو النصر ولكن يا للأسف (ماكو أوامر من العراق والملك فاروق يقول بالكوليرا مات في مصر أكثر من شعب فلسطين ولماذا كل هذا الاهتمام). إن معظم حكام العرب في تلك الفترة ساهموا بطريقة أو بأخرى بالتخلّي عن فلسطين وأهلها مقابل كراسيهم للحكم والسلطان وكم كنا نتمنى أن يذكر التاريخ لهم وقفة عز واحدة من أجل فلسطين وشعبها والمسجد الأقصى.

باستثناء لقاء الملك عبد العزيز آل سعود على ظهر البارجة (Quancy) في البحيرة المرة في مصر قي ١٤/ ٢/ ١٩٤٥ عندما طلب منه روزفلت مساعدته للتخفيف عن اليهود بحل مشكلتهم فأجابه الملك السعودي فوراً: «إعطهم أفضل أراضي ومنازل الألمان الذين اضطهدوهم ودع الجاني يدفع الثمن... ثم إن الحلفاء لديهم خمسين دولة وفلسطين بلد صغير استوعب أكثر مما يتحمل من اليهود فليتحملوا الباقي منهم»*، وانتهى الاجتماع بتعهدين من روزفلت:

١ـ أن لا يقدم أبداً (Never) على أي عمل عدائي ضد العرب.

* (من كتاب فلسطين دروس وعبر لم نستفد منها، للمهندس عصمت عويضة، ص ٨٤).

Scanned by CamScanner

٢ـ أنه لن يغيّر من سياسة أميركا في فلسطين إلا بعد الاستشارة المسبقة مع العرب.

يعـود روزفلت إلى أميـركـا وفي ٦/ ٤/ ١٩٤٥ يموت روزفلت ويموت معـه التـعـهـدان ويأتي خلفاً له هاري ترومـان لتـبـدأ حكاية فلسطين من الصفر مع الإدارة الجديدة.

Scanned by CamScanner

الفصل الرابع

سقوط مدينة عكا

Scanned by CamScanner

في ١٦ أيار ١٩٤٨ بدأت العصابات الصهيونية بالهجوم على مدينة عكا المحصنة بسورها مستخدمة راجمات الألغام ومدافع المورتر والرشاشات وقد كان يسمع دوي الانفجارات وصوت الرشاشات من البروة وحتى مشاهدة أماكن دخان الحرائق والانفجارات، وقد كان في مدينة عكا قوة لا بأس بها من أهلها متمثلة بنادي عمر ونادي أسامة وقوات أخرى من خارجها، وكان هناك قائد قالوا إسمه يونس نفاع والقوات الأخرى كانت من القرى المجاورة وهي البروة، جديدة، الدامون، شعب، مجد الكروم، نحف الشيخ داوود، كويكات، الغابسية، المنشية، السمرية، والكابري... إلخ، وقد كان معظم المجاهدين داخل السور والباقون كانوا منتشرين خارج السور في العمارات الجديدة، وأثناء الهجوم الصهيوني هذا أظهر المقاتلون المدافعون عن مدينة عكا شجاعة بطولية منقطعة النظير واستطاعوا أن يكبّدوا العدو خسائر فادحة في الأرواح والعتاد ولم يستطع العدو أن يدخل المدينة رغم كثافة نيرانه (وقد كان القتلى يسقطون منهم وهم يرددون قاديما قاديما) أي تقدموا وبعد قتال استمر أكثر من يومين تمكنوا من السيطرة على محطة القطارات من الجهة الجنوبية الشرقية وسوق الخضار من الشرق على منطقة العمارات والطريق العام حتى مفرق شارع صفد، أم جهة الغرب فهي جهة البحر، وبقيت الجهة الشمالية مفتوحة لدخول وخروج المقاتلين، وبعد أن كادت الذخيرة تفرغ نهائياً من المجاهدين اضطروا للانسحاب من جهة الشمال، وبقي عدد منهم يقاتل داخل السور وبشكل متقطع وقد استمر القتال عدة أيام قبل أن يدخل اليهود إلى داخل السور.

وقد استشهد في معركة عكا عدد من القادة والمقاتلين الذين سبق لهم أن شاركوا في ثورة ١٩٣٦ وما قبلها ضد قوات الاحتلال البريطاني في فلسطين وهؤلاء الشهداء كانوا قد أظهروا شجاعة وبطولة فائقة في

Scanned by CamScanner

تصديهم للصهيانة الغزاة في عكا رغم عدم تكافؤ القوى من حيث العدد والعدّة المتوفرة للصهاينة والمتواضعة بأيدي المجاهدين المدافعين عن مدينة عكا، وأذكر من هؤلاء القادة الشهداء الذين سقطوا في الدفاع عن عكا: الشهيد محمود الجودي من البروة، جدعون وطفا من قرية جديدة، الشهيد محمد سعد شتات من المزرعة، الشهيد صالح الدوخي من نحف وعدد آخر من المجاهدين الذين لا أعرف أسماءَهم، وهكذا سقطت عاصمة الجليل الغربي بيد الصهاينة الغزاة والجيوش العربية المرابطة على الحدود تنتظر الأوامر؟!! يا حسرتاه.

وبعد سقوط مدينة عكا صار توجّه الصهاينة نحو القرى والمرتفعات المواجهة للساحل الشمالي من فلسطين من رأس الناقورة حتى مستعمرة موتسكن، وقد استطاع اليهود الغزاة أن يسيطروا بدون قتال على عدة قرى هي جديدة والمكر والمنشية والمزرعة والسميرية وعلى قرى أخرى بموجب إتفاق وتسليم وهي كفر يا سيف وأبو سنان ويركا وجولس وجث ويانوح وكسرا وكفر سميع. ويبدو بأنه قد حصل ذلك بموجب اتفاق سرّي بين اليهود وأهالي القرى المذكورة حيث دخلها اليهود بدون قتال، ويمكن أن يكون تمّ ذلك بسب عدم قدرة هذه القرى على المواجهة بسبب ضعف الإمكانات عندها وتخلّي جيوش العرب عن القتال.

إعلان الهدنة الأولى وسقوط البروة:

لقرية البروة موقع استراتيجي مهم حيث تسيطر بحسب موقعها على طريق عكا ـ صفد من الشمال وعلى طريق عكا ـ البروة ـ شفاعمرو ـ سخنين عيلبون من الغرب والجنوب وهذا الموقع يعتبر مهماً بالنسبة لليهود، و لقد كان توقع الهجوم الصهيوني على البروة في كل لحظة، وقد كانت قدرات أهل البروة من السلاح والعتاد ضعيفة حيث كان

Scanned by CamScanner

يمتلك المقاتلون ما يقرب من الخمسين بندقية وعدداً محدوداً من الذخيرة من المائة إلى المائتين طلقة للبندقية الواحدة بالإضافة إلى عدد قليل من الرشاشات الخفيفة والمسدسات ونظراً لضعف إمكانات البروة الدفاعية أمام اليهود الغزاة كان هناك إتجاه من الشيوخ للتفاهم مع اليهود وتسليمهم الأسلحة مقابل بقاء سكان البلدة فيها وهذا الرأي كان مغايراً لرأي الشبان الذين كانوا يريدون خوض المعركة مهما كان الثمن، وقد عُقد اجتماع في بيت المرحوم يوسف الدرويش لبحث الموقف، وفي هذا الاجتماع، أصرّ الشباب على القتال وقالوا سنقاوم مهما كانت النتائج ولا نقبل الإستسلام وليقال بأن أهل البروة قد خانوا قضيتهم، وهكذا تغلّب صوت الشبان على الشيوخ وأصرّوا على القتال في حال شنّ اليهود أي هجوم على القرية.

في ٨ حزيران ١٩٤٨ أُعلنت الهدنة الأولى ولمدة شهر واحد حيث توقف القتال في كل مكان من فلسطين، ولكن ماذا حصل؟ التزم العرب بالهدنة ووثقوا بسيارات جيب الأمم المتحدة التي ترفع الأعلام البيضاء ولم يعرفوا بأن هذه الهدنة هي كذبة وخدعة لا تنطلي إلاّ على السذَّج، وكانت كلمة أمم متحدة تعني شيء كثير وكبير (وإذا بالقصة مثل ما قال البدوي البسيط ، أين الباشا؟ فأجيب ها هو أمامك، فقال: يا الله بَحْسَب الباشا باشا ترى إنوا الباشا زلمة؟!) وهكذا فكرنا بأن الأمم المتحدة أمم متحدة فإذا هم مجموعة من الجواسيس لليهود الذين ينقلون أخبار المجاهدين وقدراتهم لليهود، فماذا حصل؟

في اليوم الرابع لإعلان الهدنة في صباح ١١/٦/١٩٤٨ بدأ الهجوم الصهيوني على البروة بقصفها بمدافع المورتر وراجمات الألغام وتصدى شبان البروة للهجوم ودافعوا ضمن الإمكانات المتوفرة معهم حتى المساء وعند المساء بدأت الذخيرة تنفذ وتتناقص في

Scanned by CamScanner

أيدي المدافعين كل ذلك كان يحصل وكأن مراقبي الهدنة لا يعنيهم ذلك ولم يتدخلوا لوقف العدوان الذي كان ينفّذ أمام أعينهم وعلى سمعهم، فاضطر المقاتلون إلى التراجع إلى الشرق من القرية وكان الأطفال والنساء والشيوخ قد تركوا القرية إلى القرى المجاورة في شعب ومجد الكروم والبعنة ودير الأسد ونحف والرامة وميعار وسخنين. وهكذا تمكن اليهود من دخول البروة والسيطرة عليها في يوم ١٢/٦/١٩٤٨.

أثناء سريان الهدنة الكذبة ونظراً لموقع البروة على هضبة مرتفعة أصبح اليهود يهدّدون القرى المجاورة كالدامون والرويس وكابول وميعار وشعب من جهتي الجنوب والشرق وصاروا يمنعون أهالي هذه القرى من حني محاصيلهم ويطلقون النار على النساء والأطفال والشيوخ الذين يحاولون حصد أو جني محاصيلهم. كل ذلك يحصل ومراقبو الأمم المتحدة لا من يعلم ولا من يرى ماذا يجري.

نتيجة لهذه التعديات المتكررة على أهالي القرى وصلت إلى منطقة الدامون والرويس وكابول قوات أبو محمود الصفوري، وكانت هناك حامية شعب بقيادة أبو إسعاف وقوات أخرى تابعة للقائد أبو إبراهيم من عين حوض وقوات أخرى من مختلف القرى القريبة والبعيدة، ولكن هذه القوات لم تكن تملك ما يمكنها من ردع اليهود وتعدياتهم، وكان هناك قوات لجيش الانقاذ في مجد الكروم والرامة ولديها مدفعية وأسلحة ثقيلة لكنها لم تتدخل لوقف العدوان على الأهالي الذين يريدون جني محاصيلهم، وهكذا بقي الوضع مجمّداً باستثناء بعض المناوشات بين حين وآخر وإطلاق النار من قبل الصهاينة على المزارعين العزّل.

لم أخبركم بأنه عند احتلال البروة من قبل العصابات المجرمة الصهيونية بقي في القرية الخوري جبران وبعض العجزة من النساء

Scanned by CamScanner

والشيوخ الذين لم يتمكن أهلهم من إخراجهم معهم، فقام اليهود بجمعهم في الكنيسة المجاورة لبيت الخوري جبران وصاروا يحضرون لهم بعض الطعام ومنعوهم من التحرك خارج الكنيسة، وكانت أعمار هؤلاء العجزة فوق الـ ٧٥ سنة وقد بقوا في القرية على أمل عودة ذويهم وأهلهم خلال فترة قصيرة وكان من بين هؤلاء العجزة جدتي لوالدتي المرحومة حنيفة دبدوب وهي تناهز الثمانين سنة.

من الغريب أنه في ظل أجواء القلق والتوتر هذه التي تسود جميع القرى غير المحتلة في الجليل نرى جيش الانقاذ الذي كان يتواجد في الرامة ومجد الروم وكفر عنان وفراضية وسخنين وترشيحا والمغار وعيلبون والجش والصفصاف وميرون ودير القاسي... إلخ، كانت وحدات هذا الجيش تأكل وتشرب وتنام ولا قتال، وحتى لم يكن هناك أية إشارة توحي بالتفكير به لا حاضراً ولا لاحقاً، وقد كان على رأس وحدات هذا الجيش عدد من القادة كنت أسمع أسماءَهم تتردد على ألسنة الناس والكل من السكان يسأل ويتساءل متى سيبدأ الهجوم؟ وماذا ينتظرون؟ وهل هناك ما يمنع من استعادة ما احتل من القرى والبلاد؟

فكان جوابهم دائماً، وكما كنت أسمع الناس من حولي يقولون «لا يوجد أوامر بالهجوم الآن» ولم يكن أحد يدري بأن طبخة بيع البلاد والعباد للصهاينة الغزاة لمّا تنضح بعد في المحافل الدولية المخطط الأول للمؤامرة على شعبنا وأمتنا ومقدساتنا وأرضنا.

لأعود الآن إلى الحديث عن ذكرياتي ورحلة العذاب بعد مغادرة بلدتي الحبيبة المحفورة في أعماق نفسي.

الهجرة من البروة الى سخنين:

بعد احتلال البروة من قبل الصهاينة توزع أهل البروة في القرى

Scanned by CamScanner

المجاورة وشملت قرى شعب ومجد الكروم والبعنة ودير الاسد ونحف وميعار وسخنين وسحماتا وكفر ياسيف وأبو سنان. . . أما بالنسبة لأهلي وأقاربي فقد كانت هجرتنا إلى سخنين حيث كانت لنا معارف وصداقات وقسم آخر من أقاربنا ذهبوا إلى البعنة ودير الأسد وكم كانت هذه الهجرة لنا قاسية ومريرة فقد أصبحنا في حالة من الضياع لا بيوت ولا مصدر رزق ولا مستقبل في المدى المنظور حيارى نتعلق بأوهى خيط لأمل العودة إلى مسقط رأسنا وبيتنا ودارنا وحاراتنا. . . ولكن لا بد لنا من التكيّف مع هذا الواقع المأساوي الجديد، وصار همّنا تسقّط الأخبار التي كانت أشبه بالسراب وإلى البحث عن لقمة العيش والمأوى إلى أن يأتينا الفرج إذا كان هناك من أمل، ولم يكن أمامنا سوى التوسّل لله تعالى أن يفرجها علينا ونعود إلى ديارنا وحياتنا في قريتنا.

أستقبلنا في سخنين من قبل الأصحاب والأصدقاء إستقبالاً مؤثراً جداً وكيف أننا بين عشيّة وضحاها أصبحنا تائهين في العراء. . . وتكرّم علينا أهل سخنين وأسكنونا في المدرسة التي تتألف من عدد من الغرف الكبيرة نحن وجميع أقاربنا الذين رافقونا، وصرنا نتردد يومياً على دار إبراهيم الشايب والشيخ إبراهيم العبد الله لنسمع ونتسقّط الأخبار عما يجري وكنا نصل أحياناً إلى ميعار وشعب لنعرف شيئاً عن أخبار بلدنا المحتلة عن كثب، ونسأل عن الجيوش المتواجدة في منطقة الجليل هل ستقوم باسترجاع ما احتُلّ من القرى والأراضي، ولكن كل الأخبار كانت مخيبة للآمال وأشبه بالسراب.

وبعد انتظار ما يقرب من الشهر على احتلال البروة لم يحصل أية ردة فعل أو هجوم لاستعادتها وأصبحت فعلاً تشكل خطراً على أهالي القرى المجاورة الذين يجنون محاصيلهم الزراعية، فكان اليهود كما سبق وقلت يطلقون النار على النساء والأطفال والشيوخ

Scanned by CamScanner

الذين كانوا يحاولون حصاد أو جني محاصيلهم الزراعية من السهول المحيطة في البروة من الغرب والجنوب والشرق، ولا أحد يحاول أن يفعل من القوات المنتشرة في معظم قرى الجليل الغربي شيئاً لمساعدة هؤلاء الناس أو حتى التفكير بهم. حتى أن مراقبي الهدنة التابعين للأمم المتحدة لم يتدخلوا لوقف العدوان الصهيوني عليهم.

قرار الفصائل المحلية بالهجوم على البروة:

نتيجة هذا الوضع المؤسف إجتمع قادة الفصائل الفلسطينية المحلية المستقلة عن جيش الإنقاذ الذي كانت عناصره تتشوق لخوض المعركة ضد الصهاينة، ولكن قادته كانوا ينتظرون الأوامر من رؤسائهم والله أعلم متى تصدر تلك الأوامر، لذلك اجتمع القادة المحليون وهم: أبو إسعاف قائد حامية شعب والقائد أبو محمود الصفوري والقائد أبو إبراهيم وبعض العناصر المدربة المخلصة من قرى الجليل والمدربة تدريباً حسناً وهذه العناصر من قرى الدامون والبروة وميعار وسخنين والبعنة والدير ونحف وعرّابة ودير حنا وفرادة وكل من يحمل السلاح في هذه القرى واتخذوا قراراً منفرداً بالهجوم على البروة لتخليصها من أيدي المحتلين الصهاينة مهما كانت النتائج وقد اشتعلت الحمّية في نفوس المجتمعين وتوزعت المسؤوليات والمهمات والخطط القتالية وحدّدت ساعة الهجوم.

ومن المصادفات الغريبة أنه قبل بدء الهجوم بساعات سمحت قوات الاحتلال للخوري جبران بمغادرة القرية للاتصال بأهل البلد في قرى البعنة ودير الأسد ومجد الكروم وغيرها من أجل التفاوض معهم وعودتهم إلى بيوتهم في البروة، وفي هذا اليوم الذي أعتقد أنه كان يوم خميس وبحدود أواخر شهر حزيران ١٩٤٨ وفي الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر بدأ الهجوم على قوات الإحتلال في

Scanned by CamScanner

القرية من جهات الشمال الشرقي والشمال والجنوب الشرقي وكأن المجاهدين في احتفال وهم يردّدون «الله أكبر الله أكبر» وقد كان الهجوم مباغتاً للمحتلين وبدأت المعركة وحمي الوطيس وكان عدد من النسوة مع المقاتلين ومن ورائهم يزغردن ويردّدن «الله أكبر الله أكبر» ويحملن الماء والغذاء وكل ما يلزم لمساعدة الجرحى وتضميد الجراح لمن يحتاج إليه وقد استشهدت إحداهن وهي تحمل الماء وهي من آل كيّال أذكر أنهم قالوا (إمرأة أبو هليلة). وقد تضايق المناضلون الذين يتقدمون من جهة الشرق بين الأشجار والصخور وذلك بسبب رماية رشاش ثقيل عليهم من ماشينغن (Machine Gun) وقد كان مركّزاً في الطابق الثاني من دار سليم أسعد الكيّال، ولكن تمكن أحد المقاتلين المدرب تدريباً جيداً من قتل ذلك الجندي الصهيوني الرامي عليه واسكاته وهنا وبعد أن توقفت رمايته تعالت الهتافات «الله أكبر الله أكبر» عليهم يا رجال وهكذا إنهارت معنويات الجنود الصهاينة ودخل المقاتلون القرية وهم يردّدون «الله أكبر ولله الحمد» وتابع المناضلون هجومهم من جهة بئر المغيّر على الرأس والخلات القبلية ومن جهة الشمال الشرقي ودخل المجاهدون القرية بعد أن كبّدوا العدو عدداً كبيراً من القتلى وهربوا تاركين مركز قيادتهم في دار المرحوم أحمد درويش ودار المرحوم سليم مطلق السعد وقد وجد المقاتلون الشاي المعدّة لعشاء الجنود الصهاينة لا تزال ساخنة وكذلك الطعام وعندئذ صعد أحد المجاهدين سطح الجامع وبدأ يؤذن لصلاة المغرب بأعلى صوته «الله أكبر الله أكبر الله . . . .» وهكذا اندحر جنود الصهاينة نحو الغرب باتجاه تلة أبو لبن والشواحيط وبئر العياضية واستلم المجاهدون القرية وقد تحرّرت من العصابات الصهيونية. لقد كان من نتائج هذه المعركة إرتفاع المعنويات عند جميع المقاتلين وزادت الثقة بالنفس وتعزّزت الإرادة لقتال العدو

Scanned by CamScanner

الصهيوني . وقد استشهد عدد من المقاتلين في هذه المعركة من بينهم المرأة المذكورة سابقاً وهي من البروة وكذلك الشهيد علي حسين الجودي من البروة وأحد المقاتلين البواسل وهو برتبة رقيب أول من بلدة عقربة جبل نابلس كان من فرقة أبو إبراهيم رحمه الله وقد أبلى بلاءً ممتازاً في هذه المعركة وعدد آخر من المجاهدين لا أعرف أسماءهم وكان من الجرحى صالح عيوش من سخنين وقدّر عدد الشهداء بسبعة وعدد بسيط من الجرحى .

جيش الانقاذ يعيد تسليم البروة لليهود:

في اليوم التالي لإستعادة البروة من الصهاينة حضر بعض القادة المسؤولين من جيش الإنقاذ وقالوا لقادة الفصائل والمقاتلين إنتهى دوركم ونحن سنرابط في القرية فرفض قادة الفصائل هذا الاقتراح ثم حصل جدال ونقاش بين الطرفين تخلّلته الحدة، إنتهى بتسلّم جيش الإنقاذ للقرية ليرابط فيها وعلى أن يعمل على عودة أهل القرية إليها . والغريب مفاجئة جميع الناس في اليوم التالي بإعادة تسليم القرية لليهود بأمر أحد قادة جيش الانقاذ الكبار، وعندما سأل قادة فصائل المقاتلين الذين حرّروا القرية من أيدي الصهاينة، كيف تفعلون ذلك وتكذبون علينا وقلتم بأنكم سترابطون بها وستعملون على عودة أهلها؟! فأجابوا بأن تحريرها كان أثناء الهدنة وقد وصلتنا أوامر عليا بإعادتها لليهود، هذا مع العلم أن اليهود هم الذين هاجموا القرية واحتلوها بعد ثلاثة أيام من سريان مفعول الهدنة . بالله عليكم ماذا نقول عن هؤلاء المتآمرين الخونة لشعبنا وأمتنا؟!! وهنا يحضرني قول أبو العلاء المعري :

إذا قلتُ المحال رَفعتُ صوتي وإن قلتُ اليقينَ أطلتُ همسي

وهكذا إنهارت أمالنا بالعودة إلى قريتنا العزيزة وضاع دم الشهداء

Scanned by CamScanner

الذي نزف في عملية تحريرها وأصبح محرم علينا دخولها وبقي أهل البروة مشردين في القرى المجاورة على أمل العودة أو التحرير لاحقاً من قبل جيوش العرب!! وبات الكل ينتظر وصول الترياق من العراق وهيهات هيهات أن يصل؟!!! وأصبحت بلادنا وأرضنا محرمة علينا حلال على غيرنا ويحضرني هنا قول الشاعر شوقي:

حرامٌ على بلابله الدوحُ حلالٌ على الطير من كل جنس

إنني هنا أكتب ما أذكر جيداً وأنا في سن الثانية عشرة وقد عايَشته وعانيته وذقت وأهلي وأهل بلدي الأمرّيْن حيث ضاعت الأمانة وسادت الخيانة وعنها حدّث ولا حرج فقالوا الجيش المصري في جنوب فلسطين حوصر في الفالوجة، وكان مزوداً بأسلحة فاسدة غير صالحة للقتال، والمرحوم الشهيد عبد القادر الحسيني ذهب إلى الشام لإحضار ذخيرة لقوات الجهاد المقدّس وكان القائد المسؤول عن ذلك عراقياً يدعى إسماعيل صفوت، قال له ليس عندنا ذخيرة، ولما ألحّ عليه أجاب نزّل له يا سقف ذخيرة، فعاد رحمه الله وظلّ يقاتل وإخوانه بالذخيرة المتوفرة حتى نال الشهادة ولقي وجه ربّه، ولا أعلم كيف سيواجه المتقاعسون تجاه أمتهم وجه ربهم؟ الجيش العراقي في منطقة جنين ماكو أوامر من نوري السعيد، قالوا كانت باخرة محمّلة أسلحة وذخائر اشترتها الجامعة العربية ومتوجهة إلى اللاذقية لتفريغها وتوزيعها على الجبهات، فأخطأ القبطان ووصلت إلى حيفا؟! وكان القائد العام للجيوش العربية التي ستحرر فلسطين ليست لديه إمكانيات تمكّنه من فعل أي شيء لأهل فلسطين؟! والخطط العسكرية التي كانت موضوعة من قبل القادة العسكريين العرب ألغيت قبل انتهاء الانتداب بثلاثة أيام واختلط الحابل بالنابل ودبّت الفوضى بين القوات العربية بسبب هذا التبديل للخطة.

أما فوزي (باشا) القاوقجي قائد جيش الانقاذ في الجليل فقال

Scanned by CamScanner

إمكانياتنا قليلة ولا أستطيع أن أفعل شيئاً لكم!!

وهكذا استمرت قوى العرب من هدنة إلى هدنة ومن فشل إلى فشل أكبر وضاعت الطاسة، وضاعت فلسطين وشعب فلسطين ويا للعار، هل هؤلاء القادة هم أحفاد سيّدنا عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقّاص، أم سيف الدين قطز أ و صلاح الدين أو أبو عبيدة أو . . . ألخ.

في ذكرى نكبة فلسطين أقيم مهرجان خطابي في سينما الروكسي في طرابلس عام ١٩٥٠ فاستهل أحد الخطباء قصيدته بالبيت التالي:

نوار فيك الوفاء بطولة ومن الخيانة صفحة سوداء

لقد صدق في كل حرف من كلمات هذا البيت لأن كل المسؤولين العرب في ذلك الوقت ساهموا وشاركوا في ضياع فلسطين وما زال شعبنا يذوق الأهوال من العدو الصهيوني ومن يؤازره ولا حياة لمن تنادي والكل يتفرّج على المجازر اليومية بحق أهلنا وإخواننا، يا هل ترى قد ماتت النخوة في نفوس حكامنا وكأنهم مكبلين بالأصفاد، ماذا سيقولون لربهم يوم الحساب، وهل يظنون أنهم سيخلّدون؟! كفى. . كفى وكما قال المثل العربي القديم: «إللي استحوا ماتوا».

إسمحوا لي الآن لأعود بكم لمتابعة رحلة الذّل والتشريد.

من سخنين إلى وادي سلامة:

وهكذا تبخّرت آمالنا في العودة إلى البروة وبقينا في مدرسة سخنين بعد أن أعاد قادة جيش الانقاذ البروة إلى اليهود وبقينا نندب حظّنا العاثر، وفي فجر أحد الأيام وعند صلاة الصبح ونحن في سخنين، سمعنا دوياً غريباً، فإذا بطائرة صهيونية تلقي قنابلها عشوائياً وعلى مقربة من سكننا وبدون هدف محدّد قرب أحد الجوامع وقد

Scanned by CamScanner

قتل من جراء هذه الغارة ثور وبعض الماعز وجرحت إمرأة جروحاً بسيطة وأعتقد بأن الهدف من هذه الغارة هو لإثارة الخوف والرّعب في كل مكان ولإيهام الناس بأنهم يملكون قوات جويّة ولحمل الناس على ترك بيوتهم وبلادهم إلى خارج فلسطين، بعد هذه الغارة قرر أقاربنا وأهلي الرحيل إلى منطقة وادي سلاّمة إلى الشرق من بلدة سخنين وشمال قرية دير حنا بنحو ٥٠٠ متر وجنوب بلدة الرامة، وقد كان الفصل صيفاً فسكنا في العراء تحت أشجار الخروب نحن وأقاربنا وبعض النازحين من قرى أخرى، نعيش في البراري ونذهب لشراء ما يلزمنا من القرى المجاورة بالإضافة إلى بعض الخضار من هذا الوادي المزروع بعدة أنواع من الفواكه والخضار.

أثناء وجودنا هنا صارت تتوارد قوافل النازحين من صفورية ولوبية والشجرة وبعض قرى البطوف وكان بعضهم يقود قطعان البقر والغنم والماعز، وأذكر أننا اشترينا رأس بقر من الرعاة باربع جنيهات ونصف حيث تمّ ذبحه وتوزيعه على بعضنا، وأثناء وجودنا في الوادي كنا نذهب إلى القرى المجاورة وكنت أحب أن أرافق الكبار، والكل كان يملك سلاحاً، فكنا نذهب إلى سخنين ودير حنا والرامة لتقصّي الأخبار عن الوضع ولكن الوضع كان يتحول من سيىء إلى أسوأ، ونظراً لوجودنا في البراري بعيدين عن مسرح الأحداث قررنا الرحيل من وادي سلاّمة، ولا ندري إلى أين نذهب، وأخيراً قررنا الإنتقال إلى الرامة.

من وادي سلاّمة إلى الرامة:

بعد أن أقمنا ما يقرب من الأسبوعين في منطقة وادي سلاّمة قرر أهلنا الانتقال إلى قرية الرامة وحيث قد كان فيها وحدات مدفعية ميدان موزّعة في داخل كرم زيتون، وكانت رؤيتنا لهذه المدافع تبعث فينا الأمل لعودتنا إلى قريتنا الغالية التي كان فراقها علينا قاسياً جداً

Scanned by CamScanner

حتى أنني عندما كنت أذكر الحارات والطرقات والرفاق في اللعب والدراسة في المدرسة والتجول في الحقول والكروم تنهمر دموعي على وجنتي وكما قال الشاعر، مع أن الشيء هنا يختلف جداً أقول:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنوا عليّ كرام

نعم كنت أذكر دائماً محيط القرية بكرومها، بتينها وعنبها وأرضها وبلاطها ونصب زيتونها بهضابها أذكر الحارات، أذكر البيادر أذكر المدرسة والذهاب إليها صباحاً والعودة منها وقطع الأرض الموزعة علينا في المدرسة لنزرعها ونتبارى كيف نزرعها وتنمي نباتها، أذكر كيف كنا نقضي أوقاتنا حول ساحات الجامع وساحة البابور وندور حول الكنيسة، عندما تمر عليّ هذه الذكريات التي حرمنا منها أشعر بالحزن والألم والأسى كل ذلك حلّ بنا بين عشيَّة وضحاها لا لذنب إقترفناه أو إثم جنيناه ضد أحد، لماذا ذلك يا رب، لماذا نعاقب هكذا، أكلّ ذلك يحدث من أجل اقتلاعنا من أرضنا وبيوتنا وتسليمها لمجرمين قتله سفاكي دماء، أيّة شريعة تلك هي التي تأمر بذلك؟ إنها شريعة الغاب والوحوش الكاسرة حيث القوي يفترس الضعيف ويتفنن في تعذيبه وقتله.

عفواً يا أخي لقد ذهبت بي الذكريات بعيداً ولأعود الآن لمتابعة حديثي عن إنتقالنا من وادي سلاّمة إلى الرامة.

سكنا في بداية الأمر في الرامة قرب عين الصرار تحت شجر الزيتون وكان الطقس صيفاً وذلك ريثما نستأجر بيتاً يأوينا، وكان أخي مصطفى قد التحق بجيش الانقاذ وكان مقره في بنت جبيل على الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية. وأثناء بحثنا عن بيت للسكن قال لنا السيد نعيم بروم (أبو جبران) تفضلوا لعندنا وأسكننا في غرفة في داره وقدّم لنا مشكوراً مساعدات لا بأس بها وأبدى استعداده لتقديم كل ما

Scanned by CamScanner

يلزمنا من أثاث أو غيره، وقد كان لأبي جبران ثلاثة أولادهم جبران وتوفيق وعبد الله وأبنه أسمها جوليا بالإضافة إلى زوجته وهم من الطائفة النصرانية. نعم هكذا عشنا وجيراننا في البروة عائلة واحدة، وهكذا أستقبلنا أبو جبران الرامة وبعد ما يقرب الأسبوعين في دار أبو جبران وجدنا بيتاً قريباً لشخص يدعى مصطفى إسماعيل حيث إتفقنا معه على استئجاره ونقلنا إليه، وهكذا أصبحنا لا نخشى الشتاء إذا بقينا مشردين خارج قريتنا.

ونظراً لاستمرار نزوحنا قرر الأخ الأكبر لي إسماعيل ان يباشر العمل بالتجارة لكي يوفر لنا المصروف ولكي نحافظ على المبلغ الذي بحوزة والدي وخاصة ان مصيرنا لا يزال مجهولاً ولا نعرف ماذا سيكون مصيرنا ومصير أمثالنا من النازحين. وهكذا بدأ في عمله بتجارة زيت الزيتون وخاصة أن الرامة من أشهر قرى فلسطين بإنتاج الزيت والزيتون، وصار ينقل الزيت من الرامة الى بنت جبيل برفقة جار لنا من أهل الرامة اسمه أبو جريس وفي تجارته هذه صار يحصل على أرباح لا بأس بها، وكان أحياناً يتاجر بالخضار والفاكهة وكنت أرافقه في بعض رحلاته، ولكن ذلك لم يمنعنا من متابعة كل ما يجري من حولنا لجهة مصيرنا وعودتنا الى البروة، وعمل أخي بالتجارة كان معقولاً، وكنا نذهب للتجارة الى بنت جبيل وسخنين وعرابية ودير حنا وبيت جن وعين الأسد وفرادة. . . إلخ.

إقامتنا في الرامة كانت مقبولة مؤقتاً على أساس إن عودتنا الى البروة قادمة وقد تحسنت أحوالنا المعيشيةوأصبحنا على اتصال دائم بمسرح الأحداث وخاصة أن بلدة الرامة تقع على طريق عكا ـ صفد ومنها يمكن ان نتوجه الى لبنان و صفد أو طبريا أو الناصرة في حال كانت هذه المدن محرّرة من الصهاينة الغزاة.

في أثناء إقامتنا في الرامة مرضت والدتي ومرض والدي وقد

Scanned by CamScanner

كان مرضهما شديداً حيث تغيرت صحتهما كثيراً وأعتقد ان مرضهما كان بالحمى وقد طالت فترة المرض رغم العلاج الذي كان يقدم لهما، وخلا ل فترة مرضهما حضر لزيارتنا الخوري جبران أبو سليم، وقد تألم كثيراً لحالتهما حتى أنه بكى عندما شاهدهما على هذه الحالة وتأثر جداً. هذا وكان يسكن معنا في الرامة جارنا إبراهيم الزايد أبو جميل وأولاده والمرحوم عبد عيشان أبو حَمَد ودار عمي أبو عبد الله عبد الرحمن دبدوب وأولاده وقد كان مجال العيش في الرامة أيسر من غيرها حيث كان في شرقها سوق يومي تأتي اليه كافة أنواع المنتوجات من خضار وفواكه وغير ذلك من القرى المجاورة والبعيدة.

وأخيراً تحسنت صحة والديَّ وشفيا من مرضهما وصار عندهما قابلية للأكل والتحرك خارج سكننا. وهكذا بقينا في الرامة ننتظر الحلول والمصير الغامض وجيش الإنقاد منتشر في كل مكان ولكن كل أسلحته كانت خرساء وقادته يروحون ويجيئون والأخبار كلها متناقضة ولا أحد يعرف ماذا يخبئ لنا القدر، والكل يسأل متى سيقوم جيش الإنقاذ بالإنقاذ؟؟!

من الرامة الى جديدة:

عادةً بعد أواسط شهر أيلول من كل عام يبدأ موسم قطف الزيتون في منطقة الجليل وقد يستمر حتى كانون الثاني في المناطق الجبلية. لقد كنا نملك في قرية جديدة القريبة من البروة ما يقرب من الستين شجرة زيتون. وقرية جديدة كانت محتلة من قبل الصهاينة الغراة وسبق أن كنا إشترينا كرم الزيتون هذا سنة ١٩٤٢ وبما أن أمي كانت لا تُسأل من قبل اليهود المحتلين لأنها إمرأة وأنا وأخي أحمد كنا لا نزال أطفالاً فإتفقنا مع المرحوم والدي أن نذهب برفقة والدتنا الى

Scanned by CamScanner

قرية جديدة لقطف زيتوننا وعصره هناك وإحضار مؤونتنا من زيت الزيتون. في هذه الأثناء كانت قرى مجد الكروم وشَعَبْ والبعنة ودير الأسد وميعار وسخنين وعرّابة ودير حنا وقرى كثيرة أخرى في الجليل الغربي والأعلى كلها لا تزال تحت سيطرة قوات جيش الإنقاذ.

لقد ذهبنا من الرامة الى البعنة فدير الأسد فالمحوز فيركا فجولس ومنها الى جديدة وهناك إستقبلتنا عائلة دار الفحماوي وسكنا عندهم ورحبوا بنا ترحيباً جيداً، وأحب أن أذكر هنا بأن جديدة قريبة جداً من البروة وأراضيهما متداخلة وملاصقة لبعضها بعضاً، وبعد أن استقر بنا المقام ذهبت أنا وأخي الأصغر أحمد إلى مركز الإحتلال في جديدة لنتفرج على جنود اليهود وقد رأيناهم يوزّعون الطعام على عناصرهم وكنت لأول مرة أشاهد جنوداً صهاينة إنهم لم يسألونا شيئاً ولم نحتك بهم.

في اليوم التالي ذهبت ووالدتي وأخي أحمد مع عدد كبير من النساء والأطفال الى زيتون بلدتنا البروة المحتلة لقطف الزيتون وذهبنا جميعاً الى خلة الحُمُّص والصَّوانة وبدأنا قطف الزيتون وأثناء ذلك مرت سيارة جيب فيها ستة جنود مدججين بالسلاح كانت في طريقها من وسط الخلة الى موقع لهم على جبل العريض الواقع شمال قرية البروة فتوقفت السيارة وترجل عدد منهم وأمرونا جميعاً بمغادرة المنطقة بسرعةوإلا فإنهم سيطلقون النار على كل من يتأخر ولا يمتثل لأوامرهم، فذهب عدد كبير من النساء والأطفال وجميعنا لا يزيد عددنا عن الخمسة عشر فرداً واتجهنا الى الغرب مع (الأشلول) (ممر لجدول مياه الشتاء ويكون حافراً في الأرض ويجري كالنهر الصغير أيام فصل الشتاء) نحو مفر ق شفا عمرو المتفرع عن شارع عكا ـ صفد والمقابل شمالاً لطريق ترابي يدخل خلة الغزال المغروسة كلها بشجر زيتون كله من النوع الجيد وكلها مثقلة بحمل ثمر الزيتون وهذه الخلة

Scanned by CamScanner

تخص دار الإدلبي، انتشرت النساء والأطفال في الكرم وبدأوا يقطفون الزيتون من هذا الكرم الكبير ، وكانت هذه الخلة تقع بين جبلين جبل أبو حامض من الشرق وجبل واضح من الغرب وكان يخترق الخلة في وسطها طريق ترابي حيث يصل هذا الطريق الى منطقة المصرارة وهناك يلتقي بشارع كفر ياسيف المتفرع عن شارع عكا ـ صفد في خلة الدالية قرب بئر العياضية وبينما كنا جميعاً منهمكين بقطف ثمر الزيتون فوجئنا بوصول سيارة الجيب العسكرية الصهيونية المحملة بالجنود فأنزلتهم وتابع سائقها سيره في وسط الخلة وتوقف في ساحة واسعة تقع قبل إنتهاء الخلة، أما بقية الجنود فساقونا أمامهم مع النساء الى المكان الفسيح في الخلة وحيث كانت قد توقفت السيارة وقد كان السائق واقفاً يشهر سلاحه ويأمر كل من يصل إليه بالوقوف في الفسحة وقد أمرونا جميعاً بإلقاء الزيتون على الأرض، وبعد أن تم جمع كل الأفراد من النساء والأطفال في هذه الساحة أوقفونا جميعاً في وسطها وركزوا أسلحتهم حولنا وأخبرونا بأنهم سيقتلوننا جميعنا وعلينا أن نواجه هذا المصير بسبب مخالفة أوامرهم بالإنصراف وترك قطاف الزيتون وبدأ عندئذ النساء والأطفال يبكون ويصرخون ويولولون وبعد أن جهّزوا أسلحتهم لإطلاق النار علينا، أمر قائد الدورية جنوده بالتريث وقال لنا بلغة عربية مكسَّرة هذا آخر إنذار لكم وكل من يعود لقطف الزيتون سيقتل فوراً دون إنذار ، وأمرنا بالإنصراف على عجل فإتجهنا الى جديدة بعد هذا التهديد وتركنا الزيتون الذي كان في حوزتنا في الخلة ولم يسمحوا لأحد بأخذ حبة زيتون واحدة فتابعنا سيرنا الى جديدة التي تبعد عن خلة الغزال بنحو (٥٠٠ متر) خمسمائة متر حيث كان الجميع يسكنون فيها، إما بالاستئجار أو عند أقاربهم، وبعد عودتنا الى مكان إقامتنا بساعتين سمعنا زخات من إطلاق النار ، فتبين لنا أن بعض النسوة اللواتي

Scanned by CamScanner

تركن الزيتون في المكان الذي حاول الجنود الصهيانة قتلنا فيه قد عدن لأخذ ما تركن من الزيتون في الخلة، وهؤلاء النسوة كن لبيبة الرضوان (جارتنا في البروة) وزوجة يوسف حبيب الزايد ونورة إبراهيم الحوّا والثالثة كانت خشفة نعمة زوجة خالي محمود عبد اللطيف دبدوب، فقتلت الأولى على الفور وجرحت الثانية وهي نورة الحوّا ونجت الثالثة ولم تصب بأذى وقد تبين لنا أن الجنود الصهاينة بعد أن طردونا كمنوا في داخل تون قديم كان يستعمل لإنتاج الكلس الحيّ وهذا التون يقع في الجهة الشمالية الشرقية من جبل واضح وعلى بعد ما يقرب من مئتي (٢٠٠متر) من طريق كفريا سيف الموصل الى طريق عكا ـ صفد.

بعد هذا الحادث المؤسف لم يعد أحد يجرؤ على العودة لجني ثمر الزيتون من زيتون البروة وبعد هذا الحادث المؤسف قمت ووالدتي وأخي الأصغر بقطف ما نملك من زيتون في قرية جديدة وخلال أسبوع إنتهينا وقمنا بعصر هذا الزيتون فأخذنا تنكتين من هذا الزيت وتوجهنا الى قرية جولس ومنها الى قرية يركا فدير الأسد فالبعنة وبعد صلاة العصر بقليل كنا مقابل قرية نحف في طريقنا الى بلدة الرامة حيث هناك مكان إقامتنا. وعند المفرق الذي يوصل الى قرية نحف بطريق صفد ـ عكا شاهدنا ثلاث طائرات تمر في الجو متجهة الى الشمال، وبعد ذلك وأثناء سيرنا سمعنا دوي عدد من الإنفجارات المتتالية، وبعد أن وصلنا الى بلدة الرامة عرفنا أن هذه الطائرات قد قصفت بالقنابل قرى ترشيحا وسحماتا ودير القاسي حيث كانت تتواجد بعض الوحدات التابعة لجيش الإنقاذ ولم نعرف ما ذا كانت الخسائر نتيجة هذا القصف ومهما كان ذلك فإن جميع الناس كانوا يشعرون بالقلق والخوف على مصيرهم وعلى ما يجري على أرض الجليل والذي لا يزال تحت سلطة جيش الإنقاذ وبعض قوات الجيوش

Scanned by CamScanner

العربية، وفي فترة سابقة بنحو عشرة أيام قامت طائرة قبيل الفجر وألقت قنابلها على الرامة قرب المطحنة وحول عين الحوضين غرب الرامة وهذه القنابل أعتقد كان الهدف منها كما سبق ان قلت لنشر الخوف والرعب في قلوب الناس وتوحي بأن الإتفاق قد تم لتسليم ما تبقى من الأرض العربية في الجليل لبني صهيون دون مواجهة.

ومما لاشك فيه إنه كان يوجد في جيش الإنقاذ عدد من القادة العسكريين المخلصين جداً وكانوا يتوقون بلهفة لملاقاة جنود الصهاينة ولكن القيادة العليا لم توفر لهم العتاد والذخيرة اللازمة لصد الصهاينة الغزاة، وقد تمكن هؤلاء في عدة مواقع برغم إمكاناتهم المتواضعة وخاصة على محور ترشيحا سحماتا ومحور الجش الصفصاف سعسع من وقف زحف القوات الصهيونية المدعمة بالدبابات والمدفعية والرشاشات الثقيلة ومكنوا قوات لواء اليرموك المتواجدة في مجد الكروم وفراضية وسخنين والرامة من الإنسحاب بسلام دون أن تطبق عليهم القوات الصهيونية المتوجهة من محوَرّي ترشيحا والجش سعسع وقد أستشهد عدد من قادة جيشَ الإنقاذ المخلصين في عدة معارك.

إنسحاب جيش الإنقاذ المفاجئ :

عند منتصف ليل ٥ تشرين الثاني ١٩٤٨ وبشكل لم يكن متوقعاً بدأت القوات المرابطة في الرامة بالإنسحاب وقد قيل بأن الخوري يعقوب الذي كان على علاقة جيدة مع قادة القوات المرابطة في الرامة قد غادر وعائلته وأولاده الرامة الى لبنان وقد تبين في الصباح أيضاً بأن القوات التابعة لجيش الإنقاذ وغيرها أيضاً بدأت بالإنسحاب تحت جنح الظلام من مجد الكروم وسخنين وعرابة والمغار ودير حنا وكفر عنان وفرّاضية وترشيحا والجش والصفصاف كلها بدأت إنسحابها

Scanned by CamScanner

حاملة ما تستطيع حمله وتاركة ما لديها مما لا تستطيع نقله من معدات وآليات في أماكنها. وبعد هذا الإنسحاب أصبح جميع سكان قرى الجليل رهائن بيد الصهاينة وفي اليوم التالي كنت ترى بوضوح الوجوم والقلق يسيطران على الناس وكأن زلزالاً قد حصل حيث لا أحد يعلم ماذا سيفعل الجنود الصهاينة الذين سيدخلون القرى العربية بسلام آمنين بعد إنسحاب القوات التي جاءت أصلاً لحمايتهم ولتحرير فلسطين وقد أصبح جوٌ من الكآبة والحزن يسيطر على جميع الناس وصارت الرايات البيضاء ترتفع فوق البيوت في الرامة وفي بقية القرى التي أصبحت كلها تحت رحمة القوات الباغية والكل يترقب بحذر ماذا سيحدث لأهالي وسكان القرى التي أصبحت بين عشية وضحاها تحت نير الإحتلال الصهيوني. وهكذا تحقق للصهاينة كل ما يريدون من البلاد والأرض والعباد بدون ثمن مجاناً وبدون أن يخسروا نقطة دم واحدة؟!

Scanned by CamScanner

الفصل الخامس

النزوح إلى لبنان

Scanned by CamScanner

هدية الإحتلال الأولى:

وصلت الأخبار إلينا في بلدة الرامة بسرعة البرق ومفادها أن قوات الاحتلال دخلت قرية مجد الكروم من جهة عكا البروة وأعلنت منع التجول ونادوا اليهود بمكبرات الصوت أنه يتوجب على جميع الرجال الحضور الى عين البلدة (الحنّانة) وبعد أن تجمعوا قام أحد الضباط الصهاينة المجرمين بإختيار خمسةً وثلاثين شاباً ورجلاً من بين الحضور وأوقفوهم على حائط العين وطلبوا منهم عصب أعينهم وقاموا بإعدامهم بدم بارد مع العلم أنه لا يوجد سبب لإعدامهم إذ لم يجر أي تحقيق معهم أو محاكمة، لقد كان هدفهم بث الرعب والخوف حتى يهرب من تصل إليه أخبار هذه المجزرة وقد كان بين الشهداء من البروة إبراهيم النجم وحسين الكيال.

أما في قريتي الدير والبعنة القريبتين من مجد الكروم فقد جمعوا الرجال والشبان بعد أن تسلّموا الأسلحة التي كانت بحوزة السكان بواسطة المخاتير ثم اختاروا عدداً كبيراً من الشبان والرجال ونقلوهم بواسطة شاحنات الى جهة مجهولة وقد كان من بين الأسرى من أقاربنا أحمد نمر المجيد، محمود عبد اللطيف دبدوب، محمد عبد اللطيف دبدوب، ونمر أحمد عبد اللطيف دبدوب.

دخول بلدة الرامة:

من المعلوم أن سكان الرامة غالبيتهم من النصارى ونحو ثلث السكان من الدروز وعدد قليل من المسلمين بالإضافة الى النازحين المتواجدين فيها بسبب إحتلال قراهم، وكان الكل ينتظر وصول الغزاة بترقب وحذر وعند الظهر وصلت دبابات قوات المجرمين الصهاينة وفور وصولهم سأل قائدهم عن بيت المختار حيث ذهب ومرافقوه الى دار المختار الكائنة في الجهة الشرقية الشمالية من الرامة فإستقبله

Scanned by CamScanner

المختار وبعد ذلك بفترة قصيرة أرسل تعميماً يدعو فيه كل من عنده قطعة سلاح أن يسلمها لقوات الإحتلال التي سيمر أفرادها على البيوت لإستلامها، ونحن كنا نملك بندقية إنكليزية (نوع صواري) مع ثلاثين مشطاً من الذخيرة (١٥٠)طلقة وكان المرحوم والدي قد حفر لها بجانب حائط مصطبة البيت الذي كنا نسكنه حفرةً دفنها فيها، غير أن صاحب البيت أصرَّ أن نسلمها لأنه، حسب قوله أن قوات الإحتلال تملك جهازاً يكشف مكان أي سلاح مخبأ وهذا يعرِّض بيته للنسف لذلك عندما حضر جنود الإحتلال تسلَّموها مع ذخائرها دون أي سؤال. وفي ذات الوقت استدعى قائد الاحتلال جميع الشبان والرجال للحضور الى دار المختار لإعطاء بعض الأوامر، وعندما تجمع الرجال قام أحد الضباط الصهاينة بإختيار عدد كبير من الشبان وكانوا يُقدَّرون بحدود الأربعين شاباً ورجلاًمن سكان أهل الرامة، وكذلك من اللاجئين المقيمين فيها وكان من بين المعتقلين جبران إبن نعيم بروم من الرامة وشبان آخرين كثر وكان كذلك من بينهم المرحوم عبد عيشان من البروة، بعد ذلك أمروهم جميعاً بالصعود الى شاحنة عسكرية وتوجهت بهم نحو مدينة صفد عبر بلدة فَرَّاضية.

طرد الأهالي:

بعد نقل الأسرى ألقى القائد الصهيوني كلمة في الحضور قال فيها: إعلموا أن هناك إخواناً لنا قاتلوا الى جانبنا وساعدونا حيث كانت بندقيتهم تقاتل معنا هؤلاء سيبقون معنا وعلى بقية الناس الآخرين مغادرة الرامة خلال فترة ساعتين من هذه اللحظة، وكل من يتخلف عن الإنصراف ستطلق عليه النار فوراً وكانت الساعة بحدود الثالثة بعد الظهر، أي قبل الغروب بما يقرب من الساعة والنصف،

Scanned by CamScanner

فإحتار الناس الذين تضمنهم هذا القرار من أهل الرامة والنازحين اليهم ماذا يفعلون هل يغادرون حسب الأوامر أم يبقون في بيوتهم؟ وبعد هذا القرار ببرهة قصيرة حصل إطلاق نار في الهواء لإلقاء الخوف والرعب في قلوب الناس ولتسريع مغادرة الناس من البلدة، وأظن كانت هناك إيحاءات لبقاء بعض العائلات في القرية، وعلى كل حال بعد وصول أخبار مذبحة مجد الكروم وقرار الطرد للسكان بدأت العائلات بالتحرك وترك قرية الرامةباتجاه طلعة الجرف باتجاه قرية البقيعة . . وإلى لبنان فقلت لوالدي دعنا يا أبي نذهب الى نحف عن طريق سجور ومن ثم الى البعنة عند أقاربنا فأين سنذهب في هذا الليل وقد أوشكت الشمس على المغيب، فنهرني وحاول أن يضربني لأنه كان منزعجاً مما حصل لنا وقال سنخرج مع الناس، وبدأت قوافل الناس تتحرك والأسى والألم يعتصرها حيث أن الأطفال والنساء والشيوخ يصرخون ويبكون ويتساءلون الى أين سنذهب في هذا الليل؟!وهكذا سرنا مع المشردين بقوة السلاح عن طريق جبل الجرف بإتجاه قرية البقيعة تاركين وراءَنا بيوتنا وأرضنا وبعض أهلنا وكل ما نملك في هذه الدنيا حيث أصبحت كلها تحت سيطرة الصهاينة المجرمين المحتلين ولم نكن نعلم بأن الهجرة هذه للوطن ستمتد الى ما لانهاية وسيستمر القتل والتدمير لهذا الشعب حتى وهو خارج وطنه وفي بلاد الغربة وكأنَّ الصهاينة يقولون لشعبنا لا تفكروا بالعودة الى فلسطين فهي لنا .

وهنا يجب أن أذكر مجازرهم الإجرامية بحق شعبنا التي حصلت في ٨ أيلول ١٩٧٢ أثر عملية ميونخ الفدائيةحيث قصفت الطائرات المخيمات الفلسطينية في سوريا ولبنان وكان من بينها نهر البارد حيث قصفت جنينةً قرب شاطئ البحر وقتلت ثلاثة عشر طفلاً كانوا يسبحون ويلعبون هناك ورَجُلين آخرين بصواريخ زنة ألف رطل

Scanned by CamScanner

وقد كانت الحفر التي أحدثتها تلك الصواريخ بعمق ثمانية أمتار وبقطر إثنا عشر متراً وقد استشهد أحد أبنائي ويدعى أسامة وعمره أحد عشر عاما وجرح شقيقه في فخذه وساقه ولم نعثر على أسامة الا في اليوم الثاني وهو مدفون في التراب على بعد أمتار قليلة من شاطئ البحر.

الوصول الى البقيعة وسلب النازحين:

ومهما يكن من أمر فقد تركنا البروة مرغمين في أوائل شهر حزيران عام ١٩٤٨ الى سخنين ثم الى سلامة ومن ثم الى بلدة الرامة والآن نسير نحو المجهول ولا ندري الى أين سينتهي بنا المطاف، واستمرت قوافل النازحين في المسير وعند غروب الشمس كنا على مفرق بيت جن - البقيعة وبعد أن تقدمنا مئات الأمتار نحو البقيعة التقينا برتل من الدبابات الصهيونية المحملة بالجنود والمدافع ولم يتعرَّضوا لنا وتركونا وشأننا لأنهم يعرفون ماذا يفعلون وكيف يخططون من أجل تفريغ البلاد من أهلها الحقيقيين والأصليين ليحل مكانهم صهاينة جدد مستوردين من كافة بقاع الأرض.

وأخيراً وبعد ان أرخى الليل سدوله وصلنا الى البقيعة المحطةالأولى بعد الاحتلال وقعدنا لنرتاح من التعب تحت شجر الزيتون وفي ساحة واسعة كانت مكتظة بعشرات العائلات المطرودة من بيوتها وأرضها ووطنها، فكانت النساء يبكين ويولولن والأطفال يصرخون والحزن والأسى ظاهر على وجوه الجميع بسبب المصير الأسود الذي ينتظر هذا الشعب الذي خُذلَ وطرد من أرضه ووطنه أرض آبائه وأجداده ولم تفعل له الجامعة العَربية ولا دولها شيئاً غير المساهمة بتسليم أرضه ووطنه للصهاينة الغزاة، وخرج هائماً على وجهه ولم يلاق من حكامه غير الكلام الأجوف الذي لا طائل تحته،

Scanned by CamScanner

وفي هذا المجال أذكر جيداً تصريحاً لأحد الحكام العرب في ذلك الوقت من خلال الراديو قال فيه سنقاتل اليهود من بيت الى بيت ومن شارع الى شارع وفي كل مكان حتى ولو بالفؤوس والحجارة . . .

وأثناء الليل ونحن ننتظر طلوع الفجر لنتابع رحلتنا نحو المجهول كان يحضر الى مكان تجمع هذه العائلات المنكوبة مسلّحون يتكلمون اللغة العربية ويقومون بتفتيش النساء والرجال الذين كان معظمهم متقدم بالسن ويسلبونهم كل ما لديهم من مال أو حلى أو ذهب أو غيره ولم يستطع أحد أن يفعل شيئاً معهم وكأن فقدان بعض الأهل والبيت والأرض والوطن لا يكفي هؤلاء الحزانى فيجب تجريدهم حتى من ملابسهم وقتلهم والتنكيل بهم لا لشيء الا لأنهم عرب ومن سكان فلسطين، أو كأنهم قد فعلوا شيئاً ضد الغزاة المحتلين الدجالين اللصوص .

الرحلة الى لبنان:

في صباح اليوم التالي بدأت جموع المشردين بمتابعة سيرها نحو الشمال، نحو لبنان وكانت أول قرية سنمر عليها قرية سحماتا التي قد أصبحت مهجورة هي بدورها من أهلها . وكان هناك طريقان لمتابعة السير إحداهما من شرقي القرية وهي لسير المشاة والدواب وأقصر بالمسافة والثانية هي طريق إسفلتية للسيارات وبما أنه كان معنا دواب محملة ببعض الأشياء الضرورية سلكنا الطريق الأقرب طريق المشاة البرية، أما طريق الإسفلت فقد علمنا بأنه يوجد عليها حاجز تفتيش يعتقل الشبان فيعدمهم أو يعتقل بعضهم ويسوقهم الى مكان مجهول، وقد يترك بعضهم، فمن أجل هذا الحاجز قررنا وبعض العائلات سلوك الطريق الوعرة، وكنت أنا ووالدي ووالدتي وزوجة أخي الأكبر وإبنتها الصغيرة وأخي الأصغر أحمد وأقاربنا وعائلات

Scanned by CamScanner

أخرى لا نعرفها من قرى من منطقة الناصرة، وبعد أن قطعنا مسافة لا بأس بها على هذه الطريق فإذا بشاب في العشرينات من عمره يحمل بندقية ألمانية صار يطلق الرصاص علينا وفوق رؤوسنا ويأمرنا بالرجوع وسلوك طريق الإسفلت من أجل المرور على الحاجز السالف الذكر، فصار الأطفال والنساء يبكون ويصرخون، وإذا برجل آخر متوسط العمر يسرع ويقول للشاب المسلح يا حسن إتركهم حرام عليك كلهم نساء وأطفال وشيوخ لا حاجة لتعذيبهم. . . فامتثل الشاب لطلب هذا الرجل وتركنا نتابع سيرنا نحو جسر وادي الحبيس ولما وصلنا هذا الجسر تابعنا سيرنا نحو قرية دير القاسي، وأثناء سيرنا كنا نشاهد سيارات محطمة وأغراض مبعثرة وملابس وورق وفرش وأواني وأشياء محروقة كلها تدل على ذل وسرعة هزيمة المنسحبين. هذا وقد شاهدت قرب بركة دير القاسي جملين مقتولين وقد قتلا بقصف الطائرة قبل يومين. ومن قرية دير القاسي توجهنا على طريق ترابي وقد قيل لنا إنها أنشئت حديثاً من أجل تسهيل إنسحاب وفرار جيش الإنقاد وقادته، وكانت هذه الطريق تمر غرب كمب سعسع وهو مركز بوليس كان للإنكليز قرب سعسع ولمراقبة الحدود مع لبنان أيام الإنتداب.

نعم هذه هي طريق الهزيمة التي سلكها جيش الإنقاد والأعراب الفارين خلال تسليمهم لواء الجليل العربي للصهاينة ولقد أخبرني أحد الذين كانوا ملتحقين بهذا الجيش بأنها وصلتهم أوامر منتصف الليل بالإنسحاب دون أن يعرفوا السبب في ذلك وهذا يظهر رغبة المقاتلين الذين تطوعوا من أجل القتال دفاعاً عن فلسطين ورغبة القادة المتآمرين لضياع فلسطين.

وتابعنا سيرنا نحو الحدود الفلسطينية - اللبنانية التي خططها المستعمران الإنكليزي والفرنسي بعد معاهدة سايكس - بيكو، فوصلنا

Scanned by CamScanner

هذه الحدود التي هي عبارة عن طريق إسفلتية تفصل أرض لبنان عن أرض فلسطين، وعلى المفرق الذي يقود الى قرية الرميش اللبنانية كان يتواجد بعض الجنود الصهاينة واقفين مطمئنين يراقبون هجرة أهل فلسطين الى لبنان.

وأثناء رحلة العذاب هذه لم يعد لدى الأطفال والنساء والشيوخ قوة تساعدهم على المضي في هذه الرحلة المحزنة بسبب شدة الجوع والعطش والتعب، وقد طلب بعض الناس من الجنود الصهاينة شربة ماء لأطفالهم الرضع، فأجابوا بأن ليس لديهم ماء وليطلبوا ذلك من الحاج أمين الحسيني.

مجزرة الجش والصفصاف:

في أثناء توجهنا نحو قرية الرميش عرفنا من القادمين من قرى الجش والصفصاف والسموعية وميرون بأن مجزرة وحشية قد وقعت في الصفصاف والجش من قبل الجنود الصهاينة فرووا لنا بأن جنود الاحتلال قاموا بإحتجاز عدد كبير من الرجال وقد قيل بأنه بحدود الثمانين حيث أنزلوهم الى بئر وأطلقوا عليهم نيران أسلحتهم فقتل عدد كبير منهم ولم يعرف أحد مصير الذين نجوا من هذه المجزرة الرهيبة، وقد كانت تنفذ مثل هذه الأعمال الوحشية عن قصد وتخطيط القادة الصهاينة ورؤسائهم لبث الرعب والخوف في قلوب الناس لتفريغ القرى والبلدات من أهلها لتصبح لقمة سائغة لهم ولإسكان المهاجرين المستوردين الجدد من الخارج.

مجزرة المتطوعين المغاربة:

والأدهى من ذلك وأمرٌ ما حصل لسيارتي أتوبيس كانتا تنقلان متطوعين مغاربة جاءوا من أجل الجهاد مع إخوانهم في فلسطين

Scanned by CamScanner

ولسوء حظ هؤلاء المتطوعين أنهم حضروا أثناء تسليم لواء الجليل إلى اليهود من قبل قادة جيش الإنقاذ، والأغرب من ذلك كله أن القوات المنسحبة لم تبلغ هؤلاء الإخوة المتطوعين بأن ما تبقى من لواء الجليل قد أُفرغ من القوات العربية وأنه أصبح وأهله تحت سيطرة اليهود فتابعوا سيرهم بإتجاه جنود الإحتلال حيث تم الإجهاز عليهم في قريتي الجش والصفصاف فاستشهدوا جميعاً يا للأسف ويا للعار لم يكلف أحد نفسه ليسألهم الى أين هم ذاهبون ؟! ثم يفهمهم ويبلغهم بما حصل ويُتركون يدخلون إلى قلب جيش العدو وهم يظنون أن هذه هي قوات صديقة وعربية قد جاءوا للقتال معها جنباً الى جنب ولتنجدها. ولكن كما قال أبو الطيب:

بكل أرضٍ وطئتها أممٌ ... تُرعى بعبدٍ كأنها غنمُ

من الرميش الى قانا:

بعد أن اجتزنا الحدود الى قرية الرميش وبعد وصولنا إليها اتجهنا مع طوابير النازحين بإتجاه قرية يَعْثَرْ طريق ترابي يشبه الوادي وأثناء سيرنا مررنا ببئر ماء مياهها موحَلة وحمراء ولكن من شدة العطش شربنا منها وتابعنا سيرنا نحو قرية يَعثر ومنها أذكر الى قريتي سروبين وصَدِّقين ومنها إتجهنا الى بلدة قانا حيث كان بعض أقاربنا يقيمون فيها منذ مدة وقد بتنا تلك الليلة في قانا وفي صباح اليوم التالي انتقلنا في أتوبيس الى مدينة صور وأنزلونا في محطة القطار من أجل ترحيلنا الى سوريا ولكن بعد أن انتظرنا مدة يومين في العراء لم يصل القطار وعلمنا في آخر النهار بأن متطوعين من الصليب الأحمر يقومون بنصب خيام لإيواء اللاجئين المتدفقين من جهة بنت جبيل ومن أي مكان آخر قرب قرية البرج الشمالي وأخبرونا بأن القطار لن يحضر

Scanned by CamScanner

وانتقلنا من صور الى هذا المخيم الجديد، وصارت تحضر يومياً سيارة شحن مغطاة بشادر ومحملة بالخبز لتوزيعه على الناس وكان يتم التوزيع حسب القرى حيث يستلم شخص أو شخصان حصتهم حسب عدد الأفراد لكل قرية وبعد ذلك أتبع توزيع الخبز بعلب السردين والجبنة والحلاوة وغيره لسد جوع الناس الذين أصبحوا يقيمون في الخيام وقد فقدوا كل شيء ولكن لم يفقدوا الأمل في العودة وأصبح الكل يفتش عن أهله وأقاربه وأين أصبحوا بعد هذه الكارثة التي حلت بالناس وفرقتهم أيدي سبأ.

بعد تسليم لواء الجليل بدون أية مقاومة للصهاينة الغزاة واستمرار تدفق طوابير النازحين الى المخيم حيث لا يوجد مجال لاستيعابهم ولا خيم لأي نازحين جدد، في هذا المخيم الذي صار يؤوي الآلاف أمضينا فصل الشتاء.

من البرج الشمالي الى البقاع:

وفي بداية فصل الربيع قامت منظمة الصليب الأحمر بنقل قسم كبير من اللاجئين وأكثرهم من بلدتي صفورية وسعسع الى القرعون حيث أسكنوا في (هنجارات) كبيرة كانت للجيش الفرنسي، وقسم آخر هو من عدة قرى من قرى الجليل تقدر بخمسين قرية نقلوا الى عنجر حيث تسكن عائلات كثيرة من اللاجئين الأرمن الوافدين من أرمينيا. وفي عنجر قام الصليب الأحمر بإفتتاح مدرسة لأبناء اللاجئين وسارت توزع إعاشات منتظمة على الناس، كما تم إفتتاح عيادة طبية لمعالجة المرضى، وقد سكن الناس في الغرف الخالية التي كانت مشادة للاجئين الأرمن، وقسم كبير من الفلسطينيين سكنوا في خيم في الفسح بين البيوت، ونظراً للبرد الشديد في فصل الشتاء لا يمكن استمرار بقاء الناس في عنجر خلال فصل الشتاء الذي أصبح

Scanned by CamScanner

على الأبواب لذلك تقرر نقل الناس الى أماكن جديدة .

من القرعون وعنجر الى نهر البارد:

في نهاية فصل الصيف قررت هيئة الصليب الأحمر نقل اللاجئين من القرعون وعنجر الى نهر البارد شمال مدينة طرابلس حيث أقيم هناك مخيم كبير لإستيعاب الناس وكان يشرف على إقامة هذا المخيم موظف أجنبي إسمه تشلر (Chiller) ومدير مخيم يدعى صلاح الناظر وقد تم في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٩ نقل جميع اللاجئين من القرعون واللاجئين الذين نقلوا من صور الى عنجر ولكن اللاجئين الذين كانوا يقيمون سابقاً في عنجر في غرف باطون لم يُنقلوا الى طرابلس ومعظمهم كانوا من قرى لوبية وصفورية وهوشة والكساير وشفا عمرو . . . الخ .

في نهر البارد توزع الناس على الخيم وصاروا يحسِّنون أرض الخيم ويبحثون عن أي عمل يمكن أن يساعدهم في تحسين حياتهم وفتحت العيادات للمرضى ، وأنشئت المدارس للبنين والبنات وكلها كانت في خيم متفاوتة الحجم ، وكان الطلاب يجلسون على كراس من القش والحصر ، وتم إختيار عدد من المعلمين السابقين بالإضافة الى من كان ذو مستوى من الثقافة والعلم وانتظم عمل المدارس ضمن الإمكانات المتاحة . وفي هذه الأثناء إنصرف الناس لمتابعة الأخبار يومياً وكان كل من يسمع إذاعة صوت أمريكا أو إذاعة الشرق الأدنى يعتقد بأن الحل أصبح وشيكاً من خلال قرارات الأمم المتحدة التي صدرت بعودة اللاجئين الى ديارهم ولكن يا للأسف كل ذلك كان كالسراب لا طائل تحته .

وهكذا استمرت مأساة الشعب الفلسطيني في كل مكان من البلاد العربية ولاتزال مستمرة في أكبر جريمة عرفها التاريخ قديماً

Scanned by CamScanner

وحديثاً لشعب بريء شُرِّدَ من أرضه ووطنه بقوة السلاح دون أي ذنب اقترفه من أجل تسليم وطنه لليهود المجرمين أعداء الأنبياء والشعوب وقد تم ذلك بتآمر كل القوى العالمية بمن فيهم ذوي القربى، وما أوردته في ذكريات طفولتي هذه يجيب عن كل الأسئلة والتساؤلات عن ضياع فلسطين والتآمر على شعب فلسطين بكل وسائل الكذب والغش والخديعة لهذا الشعب الذي لا يزال يدفع ضريبة الدم عن أمته المتخادلة حتى يومنا هذا والتي ينطبق عليها قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ومن الأمثلة الواضحةعن التآمر لتسليم فلسطين وطرد شعبها ما اقتبسته من كتاب المجاهد يوسف أبو دهيس بعنوان «لوبية الأرض والشعب» حيث يقول: «. . . في صبيحة ١٦ تموز ١٩٤٨ شنَّ اليهود هجوماً شاملاً على مدينة الناصرة وصفورية ولم يقاوم جيش الإنقاذ هذا الهجوم إطلاقاً وإنسحب من المنطقة إلى شمال فلسطين حتى أن قواته التي كانت ترابط قريبة من قرى لوبية ونمرين وحطين صلاح الدين أصبحت محاطةً بالأعداء من كل الجهات.

وفي صبيحة ١٧ تموز ١٩٤٨ ذهب وفد إلى قيادة جيش الإنقاذ واجتمع الوفد مع فوزي القاوقجي في قرية الرامة، وكانت طلبات الوفد إبقاء المدفعية مكانها في مرج الذهب شمال لوبية وعلى مقربة من قرية نمرين وإعطاء أهالي القرية المدرعات ولكن فوزي القاوقجي قال بالحرف الواحد، «إن الهجمة كبيرة لا نستطيع الصمود أمامها»، وكان النقاش حاداً ومصيرياً بالنسبة للوفد، وتدخل أحد الضباط المرافقين للقاوقجي وهو المقدم قدسي، وأخذ الوفد جانباً وقال لهم لم يعد بإمكانكم البقاء أنقذوا أطفالكم واحفظوا نساءكم، عاد الوفد وأخبر أهالي لوبية بما سمع، فتقرر إخراج الأطفال والنساء

Scanned by CamScanner

وبقاء المقاتلين للدفاع عن القرية. فخرج أهالي القرية وبدأ العدو في اليوم التالي بقصف القرية بالمدفعية من ثلاث بطاريات كانت تتمركز في قرية كفر سبت والشجرة ومستعمرة الخان جنوب الشجرة، بقي القصف لمدة ثلاثة أيام فانسحب المقاتلون ودخل العدو القرية يوم ٢٠ تموز سنة ١٩٤٨ . . . الخ».

مماسبق يتضح جلياً بأن الجيش الذي دخل لإنقاذ فلسطين، ومن خلال الأمثلة الواردة عن معركتي البروة ولوبية . . . وغيرها وغيرها تظهر بأن هذا الجيش كانت مهمته تسليم فلسطين لليهود وأن شعب فلسطين كان عملاقاً وشرساً في مواجهة العدو ولكن هي الخيانة لهذا الشعب المناضل من قبل قادة حُمِّلوا الأمانة فخانوها وباعوا البلاد والعباد بثمن بخس وكأن أرض فلسطين ملكاً لهؤلاء الخونة الذين تآمروا عليه وطردوه من أرضه وقتلوه وساعدوا العدو الصهيوني على ذبحه والتنكيل به وطرده من أرضه وبيته ومن أقدس بقعة على وجه الأرض بعد أولى القبلتين.

وظلم ذوي القربى أشدَّ مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

وخلاصة القول هي أنني أحب أن أوضح أيضاً لشعبنا المرابط الذي ضحى بأعز ما يملك من نفس ومال وجهد في سبيل المحافظة على وطنه لم يتقاعس يوماً عن البذل والعطاء من أجله ولكن المؤامرة كانت كبيرة ولا زالت مستمرة ضدنا حتى يومنا هذا، وهدفي هو أن أوضح لأجيالنا الحاضرة والقادمة حقيقة المؤامرة على شعبنا وأمتنا«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين».

ونتيجة لهذه النكبة فقد توزع أهل البروة في أماكن عديدة من العالم، فهناك عدد لا بأس به بقي في فلسطين ولكن ليس في البروة التي دمرها اليهود تدميراً كاملاً. أما من بقي من المسلمين والنصارى في فلسطين فقد توزعوا في قرى جديدة والمكر وكفر ياسيف وأبو

Scanned by CamScanner

سنان ومجد الكروم والبعنة، وهناك بعض العائلات في منطقة نابلس. أما الذين خرجوا من فلسطين فقد كان تشتتهم أوسع وأكبر ففي سوريا موزعون على مدن حلب وحماة ودمشق. أما في لبنان فهم يقيمون في منطقة طرابلس والبداوي ونهر البارد. وفي بيروت في صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة وقسم يقيم في مدينة صيدا وعدد من العائلات يقيمون في مدينة صور. هذا بالنسبة لمن يقيمون في البلاد العربية، أما بالنسبة للذين يقيمون في البلاد الأجنبية فهناك عدد لا بأس به بحدود الأربعين عائلة يقيمون في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض العائلات تقطن في كندا وهناك عائلات قليلة موزعة بين الدنمارك والسويد وألمانيا. ويوجد أيضاً عدد من العائلات التي تقيم في أستراليا. وهناك كثير من الفلسطينيين الذين تشتتوا في أنحاء متفرقة من العالم ويبدو واضحاً أن مخطط الدول التي ساهمت بشكل فعال لإقامة دولة اليهود تشجع الفلسطينيين وخاصة الشباب منهم وتمنحهم التسهيلات من أجل إبعاد أكبر عدد من الشعب الفلسطيني عن أرض فلسطين أو الأقطار العربية التي تحيط في فلسطين ظناً منهم بأن الشعب الفلسطيني سوف ينسى أرض الجدود والآباء ويذوب في تلك المجتمعات مع مرور الزمن ولكن قضية فلسطين ستبقى محفورة في قلب كل فرد فلسطيني وتنقل قضية جريمة تشريد الشعب الفلسطيني من قبل الدول الكبرى من جيل إلى جيل حتى يتم تحريرها من الغزاة الصهاينة، بإذن الله تعالى وما ذلك على الله بعزيز.

ومن هنا ستبقى البروة وكل قرى ومدن فلسطين محفورة في قلوبنا حتى إلى الأبد وحتى يقضي الله أمراً كان مفعولا.

ولا يسعني في نهاية هذه الرحلة مع الذكريات المؤلمة سوى ترديد قصيدتين تحكيان تاريخنا وترسمان لوحة لقرانا وبلداننا الفلسطينية

Scanned by CamScanner

المحفورة فعلاً في الوجدان والقلب :

تطيب لنا الشهادة

يُزيِّنُ هامتي إكليلُ غار ... به أسْمو ويَزدادُ إفْتخاري
لأني من بلاد قد حَباها ... إلهي كلَّ مَجدَ وازْدهار
فلسطين إليكَ القلب يهفو ... وليس لغير حبك منً يجاريَ
أنا من أهل بروة * لعمري ... نسائم عطرها في كل دار
يذكّرني صباحُ اليوم لما ... أشَعَّت شمسه بدء النهار
تذكرني السهول وكل واد ... تسيرُ مياهُهُ عبْرَ القفار
تذكرني بيادرك وحقلاً ... توَشَّى بالخَضارَ وبالثَمارَ
تذكرني الطيور على غصون ... يحاكي بلبلٌ طَيرَ الكناريَ
فمن صُبَّارة حَسُنَتْ مذاقاً ... على يمناي حيناً أو يساري
ومن زيتونةً ربضت بسفح ... وفي الوديان تشمخ والبراري
وكم كنا على الغدران نلهو ... وترقبنا الأحبة في إنتظار
إلى الأحرار أهديكم قصيدتي ... وأكتب للصغار وللكبار
أذكركم بأنا ما نسينا ... أراضينا بليل أو نهار
سنبقى دائماً للعهد حتى ... ولو حاقت بنا سُبُل الدمارَ
تطيب لنا الشهادةُ في ثراها ... ونَحمي عرضها من كل عار
فبين ربوع أرضك يا بلادي ... يفيضُ الخّير يا أغلى الديار

الشاعر محمد يوسف الموسى
لوبية ـ فلسطين

* بروة في القصيدة(لوبية)

Scanned by CamScanner

إليكم . . . يا أهل القوّة

دَمي يُضَمِّخُ أوصالي وأشلائي ... ويَرْفعُ العطرَ ممزوجاً بأنداء
دَمي يُطهِّرُ أثوابي بما دَفقتْ ... منه الجراحُ كَدَفْق النّهر بالماءَ
دَمي سأسْكُبُهُ ما أن ضننتُ به ... وسوف أرمي هامات أعدائي
فهكذا ولَدي أوْصىَ، وقَبضتُهُ ... تَضُمُّ مُصحَفهُ في المِعقلِ النائي
ناجى زميلَيه «أمّي لا أودُّ لها ... ذُلَّ الدُّموع . . وهل في النّوح إرضائي؟»
«قولا لها إنْ تشأ لُقيا أحبَّتها ... ففي الشَّهادة جَمعٌ للأخلاء»
عَشقْتُ ديني و«الأقصى» وقبلةً ... تُفجِّرُ الرُّعبَ في مَوتَى وأحْياء
عشَقتُ قَتلَ يهودٍ . . لا أهادِنُهُمْ ... ولا أُفاوِضُهُم مِثلَ الأذلاء

من لَيْلِ ضَعفي أنا الأنثى استطالَ ضُحَى ... يُقارِعُ البَغيَ في بأسٍ وبَأساء
فكيف يسكُتُ أهل السَّيف عن مَدَدي؟ ... وكيفَ يرضوْنَ تشريدي وإيذائي؟
أيقبعون بدباباتهم . . . صَدئتْ ... أو اعتلاها غبارٌ بانَ للرائي؟
أيرسمون بنفّاثاتهم صُوراً ... من الدخان لَدى استعراض أجواء؟
أين الجيوشُ جُيوشُ العُرب تُسعفُني؟ ... ألستُ منْكُم؟ ألمْ تبكوا لبلوائي؟
ألمْ تَفضْ مُقلَة منكم على ولَدي؟ ... ألمْ تَرَوْا مَنزلي يَهْوي كشمطاء؟
ألم تروْا مسجدي تُغزى دَعائمهُ؟ ... والهَيكَلَ المدّعى . . . نارٌ بأحشائي؟

جُيُوشُنا سُبَّةٌ لا نَصرَ تَنْسُجُهُ ... ولاَ تَنَافُسَ في دنيا الأجلاَّء
لأنكم قد رضيتم قَهرَ حاكمكمْ ... يسوقكم مثل سَوقَ الإبْلِ والشاء
لَطالَما قد حَرَسْتُمْ كهفَ طاغية ... وصنتم عرشَهُ من كَرِّ هَوجاء
أمَا حَفظتُمْ لإسرائيلَ راحتَها ... فلا ينالُ يَهُوداً نارُ مُستاء؟
يا قادَةَ الجُنْدِ . . . لا تَنسوا هُوِيَّتكُمْ ... لا تدفنوا خَيركُمْ في بئر صحراء

Scanned by CamScanner

أليسَ فيكمْ فتىً كالسيفِ مُمْتشَقِ ... في ظلمةِ الليلِ، يَمْحُو زَحْفَ ظلماءِ؟
أليس فيكمْ (صلاحُ الدين) ينصُرُني ... يهَدِّدُ البغيَ إيذاناً بإجلاءِ
أليس فيكمْ وحق الله (عكرمةٌ) ... أو (طارق) فيلبّي بعضَ أصدائي؟
ألاَ يَقُضُ سريرَ النَّومِ (مُعْتَصِمٌ) ... يَهُزُّكُمْ ويُنادي: «أين أبنائي»؟
بَلَى... أرى دَمعةً في حُرِّ أعينِكُمْ ... وأسمَعُ السُّخط فيكمْ، رُغمَ إخفاءِ
فيكم بقايا من التاريخ أعشَقُها ... فمن سَيُنقذها من حال أغماءِ؟
فيكم تباشيرُ (أنصار) أتوقُ لها ... فمن سيوقظها من طولِ إغفاءِ؟
أحفاد (عقْبه) و(القعقاع) لا تردوا ... موارد الخَوف قوموا دونَ إرجاءِ
قوموا نُعِدُ عزّة للأُمة اسْتُلِبَتْ ... وَهَيْبةً أُسْقِطَتْ من رأس غلياءِ
هيّا... الأَرامِلُ والأيتامَ شاخِصةً ... إليكُمُ والثكالى.. يا أشِقّائي

سيري إلينا جُيوشَ المسلمينَ غداً ... لتُرجِعي المسْجِدَ الأقصى بإيلياءِ

الشاعر أيمن القادري

عن مجلة «الوعي»

تموز ٢٠٠١

Scanned by CamScanner

الفهرس

الإهداء ٥

تقديم ٧

مقدمة ٩

الفصل الأول: في البروة

الموقع ١٩

المساحة ٢١

السكان ٢١

الحارات والعائلات ٢٢

دور العبادة والمدرسة..... ٢٤

معاصر الزيتون ٢٥

تربية المواشي ٢٦

الزراعة ٢٩

وادي الحلزون ٣٢

المناطق السهلية ٣٢

المناطق الزراعية للخضار والفواكه ٣٤

جبل العريض ٣٤

مصادر المياه في القرية ٣٥

بئر الغربي ٣٦

وسائل النقل ٣٦

الفصل الثاني: الحياة الإجتماعية

المضافات ٤١

Scanned by CamScanner

العناية الصحية والطبية ٤٦
المناسبات الدينية والوطنية والأعراس ٤٨
المقابر ٥٢
احتفالات الزواج ٥٣
التهاني وردة الرجل ٦٠

الفصل الثالث: مقدمة عن ذكرياتي المبكرة

الحدث الاول: معركة الليات ٦٥
الحدث الثاني: موقعةالصبر ٦٦
الحرب العالمية الثانية والأمل ٦٨
لجان دولية بريطانية وأمريكية وغيرها ٦٩
قرار التقسيم ٧٠
معركة هوشة والكساير ٧٥
قلق وتوتر ٧٥
دفاع الشعب الفلسطيني عن أرضه ٧٦

الفصل الرابع: سقوط مدينة عكا

إعلان الهدنة الأولى وسقوط البروة ٨٤
الهجرة من البروة الى سخنين ٨٧
قرار الفصائل المحلية بالهجوم على البروة وتحريرها ٨٩
جيش الإنقاذ يعيد البروة لليهود ٩١
من سخنين الى وادي سلاَّمة ٩٣
من وادي سلاَّمة الى الرامة ٩٤
من الرامة الى جديدة ٩٧
إنسحاب جيش الإنقاذ المفاجئ ١٠١

Scanned by CamScanner

هدية الإحتلال الأولى ١٠٥
دخول بلدة الرامة ١٠٥
طرد الأهالي ١٠٦
الوصول الى البقيعة وسلب النازحين ١٠٨
الرحلة إلى لبنان ١٠٩
مجزرة الجش والصفصاف ١١١
مجزرة المتطوعين المغاربة ١١١
من الرميش الى قانا ١١٢
من البرج الشمالي الى البقاع ١١٣
من القرعون وعنجر الى نهر البارد ١١٤
قصيدة تطيب لنا الشهادة ١١٨
قصيدة إليكم . . . يا أهل القوّة ١١٩

Scanned by CamScanner

البـــــروة

قرية فلسطينية محفورة في القلب

نبذة عن حياة الكاتب

- محمد سليم دبدوب من مواليد البروة قضاء عكا سنة ١٩٣٦.
- أنهى دراسته الابتدائية في البروة وهاجر مع أهله الى لبنان في أواخر سنة ١٩٤٨ بعد سقوط لواء الجليل.
- تابع دراسته المتوسطة والثانوية في كلية التربية والتعليم الإسلامية في طرابلس من عام ١٩٥٢-١٩٥٦ ونال شهادة البكالوريا القسم الثاني فرع الرياضيات.
- التحق بسلك التعليم في الأنروا في أوائل شباط ١٩٥٦ ودرّس مادة الرياضيات للمرحلة المتوسطة.
- في تشرين الأول سنة ١٩٥٦ رُقيَ الى مدير مدرسة اللد في طرابلس وفي حزيران ١٩٥٧ نقل مديراً لمدرسة نهر البارد.
- في عام ١٩٦٢ التحق بالجامعة اللبنانية ونال الإجازة التعليمية في اللغة الإنكليزية وآدابها عام ١٩٦٦.
- في عام ١٩٦٨ التحق بالجامعة العربية في بيروت ونال شهادة الدبلوم العامة في التربية.
- في عام ١٩٧٠ نال شهادة التأهيل [illegible] المرحلتين المتوسطة والابتدائية وشهادة في الإدارة المدرسية.
- في نيسان ١٩٧٥ رُقّيَ إلى مركز موجه تربوي في منطقة الشمال وفي أواخر عام ١٩٧٩ رقي الى مركز مدير التربية والتعليم في الشمال.
- في عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦ التحق بدورة تربوية مدتها سنتان في الإشراف التربوي وأنهى الدورة هذه بنجاح.
- أثناء عمله في التربية والتعليم ساهم بتأهيل عدد من المعلمين والمدراء تربوياً وإدارياً من خلال دورات لمدة سنة وإدارياً لمدة سنتين.
- اشترك في دورات عديدة للإشراف التربوي والإدارة التربوية في لبنان وقبرص والأردن ومصر وبريطانيا.
- خلال عمله كمدير التربية والتعليم كانت نتائج منطقة الشمال دائماً من أفضل النتائج في الشهادة الرسمية.
- أُحيل للتقاعد في أول تشرين الأول عام ١٩٩٦ بعد أن أمضى ٤١ سنة في حقل التربية والتعليم.
- عُرِفَ بجديته ونشاطه وإخلاصه في العمل طيلة مدة خدمته، كذلك حرصه على أبناء وطنه.

الناشر

Scanned by CamScanner